مكتبتنا العربية

١٦ ربيع الآخر سنة ١٣٧٤

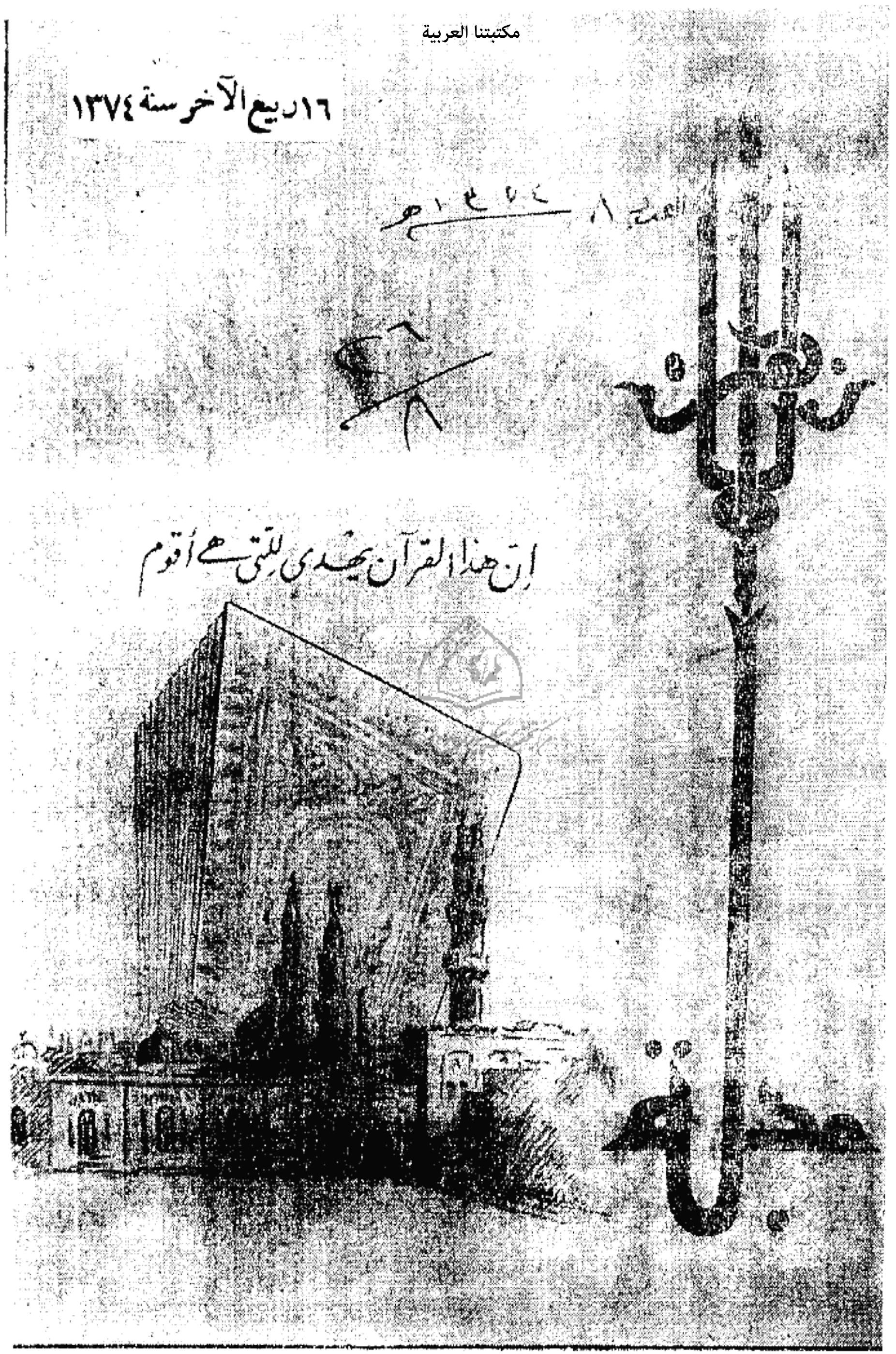

مكتبتنا العربية

مجلة الأزهر

مجلة دينية علمية جامعة

تصدر مرتين فى كل شهر عربى

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوى
ملم
٤٠٠ فى وادى النيل
٥٠٠ لطلبة وادى النيل
٣٠٠ للعلماء والمدرسين بالوادى
٥٠٠ خارج الوادى
٣٠٠ للطلبة خارج الوادى
٤٠٠ للعلماء والمدرسين خارج الوادى

مدير المجلة
عبد اللطيف السبكى

ج ١ ص ١٦ ربيع الآخر ١٣٧٤ - ١٣ ديسمبر ١٩٥٤ - الجزء الثامن - المجلد السادس والعشرون

الفهرس

		بقلم
٤٢٠	كلمة الافتتاح	الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٤٢١	[illegible]	« عبد اللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء
٤٢٩	[illegible]	« محمد على النجار
٤٣٢	عبرة وذكرى	« عبد اللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء
٤٣٢	الدقة والكثرة فى القرآن	« أحمد الشرباصى
٤٣٩	هذه هى الحياة	« على الحارس
٤٤٢	مظاهر الهدم فى الأفلام المصرية	« أحمد طه السنوسى
٤٤٦	الصبر	« محمد موسى محمد المدرس بمعهد الزقازيق
٤٤٨	نظرية المساواة فى الشريعة الاسلامية — ٢ —	« محمد محيى الدين المسيرى
٤٥٣	عماد الدين زنكى — ٢ —	« محمد رجب البيومى
٤٥٧	إلى طلاب الأزهر الشريف	« محمد محمد أبو شهبة
٤٦١	كعب بن زهير	« عبد المطلب صلاح
٤٦٦	الفتاوى	لجنة الفتوى
٤٦٩	سيادة العالم للعاملين	موسى [illegible] مدرس بكلية اللغة العربية
	ركن الطلبة : البارودى الشاعر البطل	محمد الدسوقى بمعهد المنصورة
٤٧٤	الأدب والعلوم	« المحرر
٤٧٧	أنباء العالم الاسلامى	«

مكتبتنا العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

مرحلة الانتقال

الأمم فى تطورها كالمولود فى تدرجه من الطفولة إلى الصبا فالمراهقة والفتوة والكهولة والشيخوخة . وهل يشعر الطفل بانتقاله من طفولته إلى الصبا وهو لا يذكر إلا أمسه ويومه يتكرران ولا يدرك ما يعتريه فيهما من تفاوت ! حتى إذا صار صبيا نسى أنه كان طفلا .

والأجيال فى الأمم كالأيام فى الأفراد : يتصل جيل الأمة بالجيل الذى كان قبله وبالجيل الذى ينشأ بعده كما يتصل يوم الطفل بأمسه وغده ، فلا يدرك الجيل ما يعتريه — بين أمسه وغده — من تفاوت . أما الذين يراقبون الأمم فى مراحل تطورها كما يراقب الأبوان طفلهما فى مراحل نموه ، فينظرون إلى الجيل الواحد من عمر الأمة كما ينظر الأبوان إلى اليوم الواحد من عمر طفلهما ، ويرون فيه من تطور الأمة وانتقالها من مرحلة إلى مرحلة ما قلما يراقبه سائر الناس ويرونه .

نحن الآن فى مرحلة انتقال ، ما فى ذلك شك . وقد يكون فى هذا الانتقال من الخير ما يسديه الله للناس ، وفى استطاعة الناس أن يزدادوا منه الكثير بما يسلكونه فرادى وجماعات من طرق الخير . وقد يكون مع هذا الخير طائف من الشر الذى تفرضه الظروف ، وفى استطاعة الناس أن يلطفوا من سورته ويخففوا من وطأته بما يسلكونه فرادى وجماعات من طرق الحكمة وحسن التصرف .

وكما أن الناس فى بيوتهم مطالبون باتخاذ أسباب الوقاية الصحية والخلقية لأنفسهم وأولادهم ليخففوا من عوادى الأمراض ، وليتقوا أسباب الانحطاط الخلقى ، كذلك الأمم — ولا سيما فى مراحل الانتقال — مطالبة باتخاذ أسباب الوقاية المالية والخلقية والاجتماعية فى أوطانها ، لتتمتع بما يسديه الله لها من خير ، ولتبتعد عما يشوب هذا الخير من شر قد تقتضيه الظروف .

مرحلة الانتقال ماضية فى طريقها ، وهى متأثرة بعوامل عالمية مشتركة بين بنى الجيل فى الإنسانية كلها ، ولا سيما بعد أن تيسرت وسائل الاتصال وأسباب العدوى والتقليد بين المشارق والمغارب ، وعاد الناس كأنهم أسرة واحدة كما كانوا فى دهرهم الأول . وفى مجموع

مكتبتنا العربية

الأسرة الإنسانية من المحاسن ومحمود الوسائل ما ينبغى لنا الاستعانة به على ما ننشده لكياننا القومى والملى من سعادة وقوة ، كما أن هذا الاتصال العالمى قد يحمل إلينا من التوافه والنزعات والمغريات والموبقات ما يعارض مصالحنا القومية ومبادئنا الملية وأهدافنا نحو الحق والخير . وهذا ما ينبغى للعقلاء من الآباء والمدرسين والوعاظ والناصحين أن يتعاونوا مع ولاة أمور هذا الشرق الإسلامى على اتخاذ أسباب الحيطة منه ، وإبعاد أبناء الجيل عن الوقوع فى حبائله ، وهو أعظم مظاهر الوقاية ، والوقاية أخت التقوى .

من ألف سنة إلى الآن لم تكن مسئولية الآباء المسلمين نحو أبنائهم ، والمدرسين المسلمين نحو تلاميذهم ، والوعاظ المسلمين نحو الجماهير التى يعظونها ، والناصحين المسلمين — من طريق الصحافة والتأليف والمحاضرات — نحو الذين يكتبون لهم أو يحاضرونهم ، مسئولية جسيمة كجسامة مسئوليتنا هذه ، فى أيامنا هذه ، وفى مرحلة الانتقال بوجه خاص .

إن الجيل من أبنائنا الذين يستقبلون الآن مرحلة الانتقال محتاجون إلى كل ما تزودهم به هذه المرحلة من فنون الإدارة والتنظيم ووسائل القوة والتعليم وأساليب التربية والتقويم ، وهم محتاجون مع ذلك فى وطنيتهم إلى أن يكونوا مواطنين صالحين مصلحين فى هذا الوطن ، وإلى أن يكونوا فى إسلامهم مسلمين أوفياء للإسلام عارفين بمحاسنه مؤمنين بسننه وأنظمته وقواعده ، وإلى أن يكونوا فى عربيتهم وعروبتهم متمكنين من أدبهما ، معتزين بأمجادهما ، محتفظين بمواريثهما ، وأن يكونوا فى إنسانيتهم متعاونين مع جميع بنى الإنسان على الخير والحق ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا .

فأهم ما نحتاج إليه فى مرحلة الانتقال أن نعرف من يتعاون معنا على الحق والخير ، فنتعاون معه كما يتعاون الأصدقاء المخلصون . وأن نعرف من ينكر علينا الحق ويمنع عنا الخير فنستعد لانتزاع الحق منه إلى أن يسلم لنا به ، ولكف يده عما يمنعنا من خير إلى أن يمكننا منه . والأمة التى تعرف صديقها وتعرف كيف تتعاون معه ، وتعرف عدوها وتعيش على استعداد لدفع عاديته عنها ، هى الأمة التى عرفت طريق الأمان فى مرحلة الانتقال نحو أهدافها .

ولأجل أن نبلغ هذه المنزلة من الوعى القومى والملى نطمع من عقلائنا وقادة الرأى فينا أن يعرّفوا هذه الأمة فى مرحلة انتقالها بما ينبغى لها أن تأخذ به وما ينبغى لها أن تدعه .

مكتبتنا العربية

نحتاج فى مرحلة الانتقال هذه إلى أن نجهز أوطاننا وسكانها بكل ما نحتاج إليه ونستغنى به من الصناعات فى السلم والحرب ، ولهذه الصناعات علوم ووسائل يجب أن يتعاون كل فريق منا - فى نطاق اختصاصه - على استكمالها ، ثم على ممارسة فنون الإدارة لتثبيتها واستمرارها وتقدمها .

ونحتاج فى مرحلة الانتقال إلى أخلاق نتعامل بها ، ونتعاون فى نهضتنا بتبادل الثقة عن طريقها ، وبغير أخلاق يستحيل علينا أن ننهض باقتصادياتنا ومستوى معيشتنا واستكمال أسباب قوتنا . وخير الوسائل لاسترداد الأخلاق الرجوع إلى الله من طريق هذا الإسلام المظلوم بانتسابنا إليه ، والموجود فينا باسمه وعنوانه ، لا بسننه وآدابه وسلطانه على النفوس . وقد آن لنا أن ننتقل - مع مرحلة الانتقال - من شكليات الإسلام إلى ما ينبغى أن يصحبها ويلازمها من حقائقه ومراميه وأهدافه . وسبيل ذلك أن ندرس أحكام الأخلاق الإسلامية كما ندرس أحكام العبادات وأحكام الأحوال الشخصية فى الفقه الإسلامى . والتقوى روح الأخلاق الإسلامية ، وإنما صارت غريبة فينا منذ هجرنا أخلاق الإسلام وزهدنا فى تتبع النصوص عن أحكامها ، وتحرى القدوة فيها باستعراض سيرة رجال الأخلاق فى التاريخ الإسلامى ، وقد كانوا زينة الدنيا ومفخرة التاريخ ، بل الإسلام نفسه رسالة أخلاق ، وما منا إلا من يحفظ كلمة الهادى الأعظم صلى الله عليه وسلم « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

ويوم نرجع بأخلاقنا إلى سنن الإسلام وآدابه فنتخلق بها ، سنجبب هذا الإسلام إلى شانئيه من بنيه والأجانب عنه ، وسنعظمه فى نظر شعوب الأرض ، وسيعظم الإسلام وأهله ذلك فنبعث فى مستقبلنا بعثا جديدا .

ونحتاج فى مرحلة الانتقال إلى استغلال الكنوز التى ورثناها عن الماضى فى تربة أوطاننا وما ينطوى فيها من معادن وثروات ، وفى قوى نفوسنا وما يكمن فيها من استعداد للخير ، وفى دور كتبنا ، وخزائن علومنا ، مما لو تفرغ أهل التخصص منا لدراسته وتحقيقه وتنظيمه وبعثه ، لاكتشفنا فى ذلك من المفاخر والمعارف وبواعث النهوض ما تكون منه مصابيح هداية لأجيالنا التى تستقبل مراحل انتقالها وهى على مفترق الطرق فتعرف - بأنوار هذه المصابيح - الطريق الذى يليق بها أن تسلكه إلى المستقبل السعيد .

محب الدين الخطيب

مكتبتنا العربية

نفحات القرآن

— ٢٣ —

٢ — طموح الأنبياء إلى البنين

يا زكريا : إنا نبشرك بغلام
اسمه يحيى ، لم نجعل له من قبل سميا

للأنبياء مقامهم عند ربهم ، ولهم ميزاتهم على غيرهم ، ومكانتهم الرفيعة بين سواهم من الناس .

ولكن ذلك كله لا ينأى بهم عن حظيرة الإنسانية ، ولا يخرجهم عن خصائص البشرية ، فبينهم وبين الخلق وجوه من الشبه فى كثير من المعانى الفطرية .

وليس ينقصهم ذلك فيما يلقوا من المنزلة ، ولا فيما أضفى عليهم ربك من المواهب ، ويشرفهم به من المحامد ، وخصهم به من الفيض ، بل لعل فى هذا الامتياز — وهم أناس من الناس — ما يؤكد فضلهم ، ويفصح عن عظيم شأنهم .

وكان نبى الله محمد — صلوات الله وسلامه عليه — يتلقى من الوحى ما يواجه الناس به فى ذكر حقيقته البشرية ، كما يذكر فضيلته فى قوله (قل إنما أنا بشر مثلكم ، يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد) .

فلم يبعد غريبا على زكريا — عليه السلام — أن يشغفه حب الولد كما يشغفنا ، ولا أن يتمنى أن يرزقه ولدا ، ولكن دعاءنا مشوب ، ودعوات زكريا طيبات صافيات .

وحينما اتجه زكريا إلى مناجاة الله بالرجاء ، كان خاشعاً كدأب الأنبياء ، وكان متضرعا كما يفعله هذا الضعفاء .

وهذا مقام الدعوات : يقتضى على المرء أن يعترف لله بفضله ، ويُذكر نفسه بضعفه وفقره ، ويلتمس أمنيته بالرجوع إلى ربه ، وكذلك صنع زكريا ، إذ نادى ربه نداء خفيا ، قال رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ، ولم أكن بدعائك رب شقيا ، فزكريا يتمدح إلى الله بأنه سعيد بقبول الدعوات من قبل ، فإذا جاش فى نفسه الأمل فى الولد وسائره اليأس لكبر سنه ، وعقم زوجته ، فإن ما بينه وبين الله من صلة النبوة ، وما سابق عهده بقبول دعواته ، ليصرف عنه اليأس ، ويزيده تعلقاً بالرجاء .

مكتبتنا العربية

٣ — وهذا أمر مشهود لنا : حينما يتملكنا الأمل ، ويشتد بنا الحذر من فواته . يحس الإنسان بخلجات نفسية فيها بشاشة الثقة بالله ، والاستئناس بكرم الله ، وقد يرجع الواحد منا على نفسه باللائمة ، لما فرط منه سابقا ، ويتجه بالتوبة إلى الله من وقته ، ليكون تجديد عهده مع الله وسيلة إلى قبول دعواته « وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيباً إليه » .

وإذا كان حسن الصلة بالله مثار الاطمئنان إلى قبوله الدعوات ، فما ظنك بالأنبياء وهم صفوة الله من خلقه ؟ ؟ وآية ذلك أن زكريا يتلقى البشرى من عند الله على لسان الملائكة بتحقيق ما طلب . .

بل تزيده طمأنينة بتسمية مولوده (يحيى) وبأنه اسم اختاره ربه لم يسبق إليه أحد ، وفى ذلك قدر من النجح غير محدود .

٤ — ولكن زكريا ـ كإنسان ـ يزيده ذلك إمعانا فى الطلب ، ويشتد تعلقه بالحصول ، ويتعجل الوقت الذى يرى فيه حديث نفسه أمراً واقعا ، ليستقبل النعمة فى بوادرها ، ويعيش فى ضوئها أهنأ من بقائه فى انتظارها ، وليشكر عليها من أول وقتها زيادة فى تقديرها ، ووفاء بحقها إلى من جاءه بها .

٥ — وهذه سنة الأخيار من الناس فى الاعتراف بالجميل لأهله ، وشكر النعمة لمسديها . وهى شرعة الله لمن عرف لصاحب الفضل فضله ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ، « وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها » أى بالشكر وحسن التقدير .

أراد زكريا أن يتعجل ما بشر به ، فقال : « رب اجعل لى آية » : علامة أعرف بها قرب استهلال الولد الموعود ، فقال سبحانه : « آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا ، واذكر ربك كثيراً ، وسبح بالعشى والإبكار » وقد حصل ، فلم يعد زكريا يستطيع الحديث مع الناس ، إلا رمزاً بالإشارات ، مع سلامته من الآفات كلها ، كما يشهد بذلك قوله تعالى : فى آية أخرى : « آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا » أى لن تستطيع المحادثة فى ثلاث ليال بأيامها ، مع كونك سوى الخلقة ، غير مؤوف بآفة ما « واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشى والإبكار » .

وهكذا خرج زكريا من محرابه ـ ساعة أن تلقى البشرى ، وعرف العلامة ـ غير قادر على الكلام ، فأشار إلى أهله وخواصه إشارة أوحت إليهم أن يفعلوا مثل ما يفعل ، فيكثروا

مكتبتنا العربية

من التسبيح والذكر لله « بكرة وعشيا » : أول النهار وآخره ، وبذلك يكون زكريا قدوة لأولئك ، فى مداومة العبادة ساعة القدرة عليها والتفرغ لها ، ويكون معانا منهم باشتغالهم معه بهذا النوع من الشكر المرسوم لهم .

وكذلك حقت كلمة ربك المنشودة المشكورة ، وصدق الله وعده ، فكان لزكريا ولده يحيى ، وكان يحيى موضع الرعاية من ربه ، وابتدرته العناية بالنبوة ، ليكون خلفاً طيباً لسلف طيب ، وهكذا قال ربك فيهم : « ذرية بعضها من بعض » فما لبث (يحيى) أن أوحى إليه ، وأعطى الحكمة والعقل الراجح ، وهو فى صبوة من السن ، إذ لم يكن تجاوز السابعة على أكثر الأقوال « يا يحيى خذ الكتاب - التوراة - بقوة وآتيناه الحكم صبيا ، وحناناً من لدنا وزكاة وكان تقيا ، وبراً بوالديه ، ولم يكن جباراً عصيا » فهذه صفات الكمال تفضل الله بها على يحيى : نبوة مبكرة ، وحكمة بالغة ، وحنان وعطف عليه من الله ، وعطف منه على الناس ، وزكاة وتقوى ، ففيه طهارة فطرية ، وفيه تقوى عملية ، وكان باراً بوالديه أقوى ما يكون البر من ولد مهدى ، لأبوين كريمين من خيار الأخيار ، ولم يكن فيه أثر من تجبر ، ولا شائبة من كبرياء ، ولا نقيصة فى طاعته لربه وأبويه ...

فكان قرة والديه فى حياتهما ، وذكرى طيبة لهما بعد وفاتهما ، وقد زاده الله تكريما ، فألقى عليه سلامه وحياه به تحية دائمة حتى يلقى ربه يوم يبعث من فى القبور « وسلام عليه يوم ولد ، ويوم يموت ، ويوم يبعث حيا » .

عود على بدء :

فى هذه الذكريات توجيه لنا إلى ابتغاء الذرية ، والعمل على أن تكون ذرية مرضية ، ولنأخذها بالتربية ، ولنكن قدوة حسنة لها فيما نقول ونعمل ، وفى الدين والدنيا ، حتى تكون الذرية متعة الحياة ، وعونا على شئونها ، وذخراً بعد الممات ، ننتفع بدعوانها ، وصالح أعمالها .

والمرزوق بالذرية مأجور عليها ، إذا رعاها وراقب ربه فيها ، والمحروم من الذرية مأجور على الرضا بما قدر له ، إذا صبر على الحرمان ، واطمأن إلى قسمة الله فى خلقه ، والله حكيم فى صنعه « يهب لمن يشاء إناثاً ، ويهب لمن يشاء الذكور ، أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ، ويجعل من يشاء عقيما ، إنه عليم قدير » .

وسلام على زكريا ويحيى ، وعلى جميع النبيين والمقتدين بهم أجمعين ؟

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

مكتبتنا العربية

لغويات

أما وقد أقبل الشتاء فالبس ثياب الصوف

يكثر استعمال « أما » فى الأسلوب الذى أوردت . ورأيت كثيراً من الفضلاء يقرأ « أما » بتخفيف الميم . وعزّ الخلاف بينى وبين أحدهم دهراً وهو لا يزداد إلا إصراراً على رأيه . « وأما » مخففة الميم فى مثل هذا المقام تكون لتنبيه السامع لما يلقى عليه . وتعرف بأما الاستفتاحية . وأذكر لأستاذنا الشيخ سيد المرصفى - عليه الرحمة والرضوان - كلمة فيها وفى ألا الاستفتاحية . فقد قال : هى جرس يقرع أذن السامع ويحفزه إلى الانتباه . ومن مواردها قول أبى صخر الهذلىّ :

أما والذى أبكى وأضحك والذى ... أمات وأحيا والذى أمره الأمر

لقد تركتنى أحسد الوحش أن أرى ... أليفين منها لا يروعهما الذعر

وهذه يكثر بعدها القسم كما فى الشعر الذى ذكرت .

وكان يصرفنى عن هذا الرأى أن أما الاستفتاحية لا تأتى بعد [illegible] الحال ، وإنما يليها فى أكثر الأمر القسم . وعندى أن [illegible] الميم ، وهى أما الشرطية ، مثلها فى نحو أما الصدق فحسبى [illegible] وقد وقعت جملة الحال فاصلة بين أما والفاء كما هو الواجب [illegible] أن تلى الفاء الواقعة فى الجواب أداة الشرط . وأذكر هنا [illegible] التى تفصل بين أما والفاء فى ستة ليس منها الحال ، وتبعه الأشمونى [illegible] هذا لا يثنينى عن رأيى لأن ابن هشام ذكر من الأشياء التى [illegible] نحو أما أنت ذاهب ، والحال يجرى مجرى الظرف ، وكنت أعجب من سكوت النحاة عن الحال حتى وجدت الرضى فى شرح الكافية صرح من الفواصل بالحال فانشرح صدرى لذلك . وهاك كلامه

مكتبتنا العربية

الرضى (ص ٣٩٦ ج ٢) : « وكذا يتقدم على الفاء من أجزاء الجزاء المفعول به أو الظرف ، نحو أما اليتيم فلا تقهر ، وأما يوم الجمعة فأنا ذاهب . . . وكذا غير ذلك من معمولات الجزاء كالحال : نحو أما مجرداً فأنا ضاربك ، والمفعول المطلق ، نحو أما ضرب الأمير فأنا ضاربك ، والمفعول له ، نحو أما تأديباً فأنا ضاربك » .

وعزز من رأيي في تشديد « أما » أني وجدت ما ورد من هذا الأسلوب مشكولا بتشديد الميم فيما يوثق بضبطه . فقد جاء في اللسان (صرر) : « وكل شيء جمعته فقد صررته . ومنه قيل للأسير مصرور : لأن يديه جمعتا إلى عنقه . ولما بعث عبد الله بن عامر إلى ابن عمر بأسير قد جمعت يداه إلى عنقه ليقتله قال : أمّا وهو مصرور فلا » وضبط فيه « أما » بالتشديد كما ترى . وجاء هذا الخبر في الأموال لأبي عبيد ١٣٣ ، وضبط فيه « أما » بتخفيف الميم ، والضبط فيه لا يوثق به ، فلم تراع الدقة فيه .

وأذكر في هذا المقام حديث عبيد بن الأبرص مع المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة . فقد كان للمنذر يومان في السنة : يوم نعيم ، يعطي أول من يقبل عليه مائة من الإبل ويحسن جائزته ، ويوم بؤس يقتل أول من يطلع عليه فيه ويشتد في عذابه . وكان عبيد أوقعه القدر في يوم بؤسه ، فنبيء الملك بمكانه في الشعر وسيرورته وأن من الخير أن يعفو عنه ليحسن فيه المدح . وأنقل من ديوانه المطبوع في أوربة المحاورة الآتية : « فقال (الملك) : قل فيّ مديحا يسير في العرب . قال : أمّا والصبّار فيما عجل فلا . قال : نطلقك ونحسن إليك . قال : أمّا وأنا أسير في يديك فلا . قال : نردك إلى أهلك ونلتزم رفدك . قال : أمّا على شرط المدح فلا » وضبط فيه « أما » بالتشديد . والصبار وصف من صبره : أوثقه .

ومما يؤيد ما نحن فيه أن الجملة الحالية في هذا الأسلوب قد يكون مكانها الظرف . ومن ذلك أن أعرابيا ألف الحضر سئل : أما تريد البادية ؟ فقال : أمّا مادام السعدان مستلقيا فلا . والسعدان نبت ترعاه الإبل وتسمن عليه . وجاء هذا الخبر في اللسان (سعد) وأوائل كامل المبرد ، وضبط فيه أمّا بالتشديد . وفي الكامل بعد الخبر : « يريد أنه لا يرجع

مكتبتنا العربية

إلى البادية أبدا ، كما أن السعدان لايزول عن الاستلقاء أبدا » . والقارىء يرى أنه لو قال : أما والسعدان مستلق فلا لأدى المعنى الذى أراده ولم يخرم منه شيئا .

وجاء فى ديوان ابن نباتة ٤٨ قوله يعزى بامرأة :

تفدى كرام الحى منكم كرائمه يآل بيت العلا والفضل والحسب
أما وقد بقيت عليا سمائكم فما يضر زوال السبعة الشهب

وليس فى الديوان ضبط لهذا الموضع ، و « أما » على ما ذكرت مشددة الميم فليس فى جزئها من العروض زحاف ، وهو من البسيط .

وجاء فيه فى ص ٢٥٥ :

لقد كنت فى لذّات ثغرك هائما ليالى لم يُمنع على عاشق ثغر
فأمّا وسرّ دونها من شوارب فلا خير فى اللذات من دونها سر

وترى أن « أما » فيه مشددة البتة ، وهذا وفق ما رأيت فى هذا الأسلوب . وقوله : « سر » كذا فى الديوان ، وكأنه محرف عن « ستر » ، ويشهد لهذا أن أصل هذا الشعر قول أبى نواس :

فبح باسم من تهوى وذرنى من الكنى فلا خير فى اللذات من دونها ستر

وجاء فيه فى ص ٥٥٨ :

ما أحسن العيش فى عينى وأنت به أما وأنت بأكناف التراب فلا

وهذا كالبيت الأول .

أما تعلم أن مكة أم القرى . ما تزورنى فإنى مشتاق إليك

سألنى بعض الباحثين عن مثال تدخل فيه همزة الاستفهام على ما النافية ، فذكرت له : أما تزورنى غدا ، فرد على أن « أما » فيه للعرض ، وهى فى رأى بعضهم بسيطة غير مركبة من الهمزة وما ، فذكرت له المثال الأول المصدر به البحث ، وهو : « أما تعلم أن مكة أم القرى » فلا يبين هنا العرض ؛ فإن العرض هو الطلب برفق ، ولا مكان له هنا ،

مكتبتنا العربية

ولا يبين أن تكون للتنبيه فتكون استفتاحية ، إذ ليس المراد الإخبار بأنه يعلم ، وإنما المراد بعثه على أن يعلم أو تقريره بأنه يعلم . فأما فى المثال مؤلفة من همزة الاستفهام التقريرى وما النافية ، والمراد التقرير بما بعد النفى ، مثلها فى قوله تعالى : « ألم نشرح لك صدرك » .

ومما هو واضح فى هذا المعنى قول حُيي بن وائل :

أما أقاتل عن دينى على فرس ولا كذا رجلا إلا بأصحاب

لقد لقيت إذاً شرا وأدركنى ما كنت أزعم فى خصمى من العاب

وقد ورد هذا الشعر فى نوادر أبى زيده ، وفيه : « قوله : رجلا معناه : راجلا كما يقول العرب : أتانا فلان حافيا رجلا أى راجلا . كأنه قال : أما أقاتل فارسا ، ولا - كما أنا - راجلا إلا ومعى أصحابى ! فلقد لقيت إذاً شراً ، أى إنى أقاتل وحدى ، وترى أن « أما » هنا لاتصلح للعرض ولا للاستفتاح ، وإنما هى الهمزة وما النافية ، وانظر كيف عطف « ولا كذا » عليها ، ولا يكون ذلك إلا مع النفى ، وانظر قوله فى البيت الثانى : لقد لقيت إذا ، فإن المراد : إذا لم أقاتل إلا كما وصفت ، وهذا مع قوله : إلا بأصحاب قاطع فى أن « ما » فى « أما » نافية : فإن هذا استثناء مفرغ وهو لايكون إلا بعد النفى . ومما يقطع بهذا قول ابن محلّم :

أنى كل عام غربة وتروح أما للنوى من ونية فتريح

وأذكر هنا أن ورود أما للعرض يهمله أكثر النحويين . ويذكر صاحب الجنى الدانى أن الذى عرض لهذا هو المالقى صاحب رصف المبانى ومن قوله : « قلت : وكون أما حرف عرض لم أره فى كلام غيره . والظاهر أن (أما) فى هذه المثل التى مثل بها مركبة من الهمزة وما النافية ، فهما كلمتان ، وقد ذكر هو وغيره أن أما تكون همزة استفهام داخلة على حرف النفى فيكون المعنى على التقرير كما فى ألم » . وترى نحو هذا فى المغنى فى مبحث « أما » .

وقد ذكرنى البحث فى « أما » بما هو جار فى لسان العامة من إدخال « ما » على الفعل

مكتبتنا العربية

يراد إثباته لا نفيه . يقولون : ماقلت لك إن الحالة حسنة ، أى قلت لك ذلك ، ويقولون : ما تذاكر دروسك فالمذاكرة سبيل النجاح ، وإنى أرى أن « ما » هذه محذوفة من « أما » . فقوله : ماقلت لك أصلها : أما قلت لك ، والاستفهام هنا للتقرير ، وقوله : ما تذاكر أصلها : أما تذاكر ، وهنا « أما » للعرض . وحذف الهمزة فى أما ذكره ابن السيد البطليوسى فى شرح شواهد الجمل للزجاجى ، واستشهد عليه بقول الشاعر :

ما ترى الدهر قد أباد معدّا وأباد السراة من قوم عاد

فقوله : ما ترى أصله : أما ترى . ويتكلف [1] الدمامينى فى البيت جعل ما نافية دون تقدير الهمزة ويحمل الكلام على الإخبار لا على التقرير . وذلك أن المخاطب لما كان فى غفلة عما يعلمه من حوادث الدهر كان كالجاهل بذلك فنزل منزلته ، وتحدث عنه الشاعر أنه لا يعلم أن الدهر أباد معدا ، وهو تكلف أسهل منه تقدير الهمزة ، وقد عهد حذفها كثيرا فى فصيح الكلام .

وورد فى البخارى فى كتاب الزكاة : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالتمر عند صرام النخل ، فيجىء هذا بتمره ، وهذا بتمره ، حتى يصير عنده كوماً من تمر . فجعل الحسن والحسين رضى الله عنهما يلعبان بذلك التمر . فأخذ أحدهما تمرة فجعلها فى فيه ، فنظر إليه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخرجها من فيه ، فقال : أما علمت أن محمداً لا يأكل الصدقة ، وفى رواية : ما علمت . وعرض لهذه الرواية الأخيرة ابن مالك فى كتابه شواهد التوضيح لمشكلات الجامع الصحيح ـ وقد طبع فى الهند ـ فحمله على حذف الهمزة من « أما » وذكر كلام البطليوسى واستشهاده ، ومن كلام ابن مالك : « ومن روى : ما علمت فأصله : أما علمت ، فحذف همزة الاستفهام ؛ لأن المعنى لا يستقيم إلا بتقديرها » ؟

محمد على النجار

---

(١) انظر شواهد المغنى للبغدادى ١ / ٢٧٤ .

مكتبتنا العربية

عـــــبرة وذكرى

نحن مع طلاب الإنصاف فيما ينبغى أن نأخذ به أنفسنا نحو تلك الأحداث التى شغلتنا فى هذه الأيام عن كل شىء سواها ، وفى الرجوع إلى الضمير لنعرف إلى أى حد أدينا واجبنا ، أو تخلفنا عنه فى التمكين لهذه الأحداث ، أو فى مقاومتها قبل أن يستفحل شرها .

ولكن الذى نود أن نأخذ به أنفسنا كذلك ألا نحيف بالحقيقة فيما نذكر ، حتى يتلقاها الناس غير مشوبة بالغرض ، وحتى يأخذها التاريخ عنا غير مدخولة .

فإننا شهداء تلك الأحداث ، والشاهد أمين صادق عدل فيما يجب عليه حين الرواية .

وما يليق به أن يحتمى بالضمير ، ويتمسح بالإنصاف ، ثم يقص ما ليس فى شىء من ذلك ، فإن هذا جناية على التاريخ ، وعلى الأجيال التى تأخذ عنا بعد .

هؤلاء : هم الإخوان المسلمون — فيما كانوا — قاموا حول فكرة لم تكن من قبل سرية ، ولم يكن من حق أحد أن يمنعهم منها ، فالدعوة إلى الدين : إن تكن أول واجب للعلماء ، فهى واجب كل مسلم أوتى حظا من علم دينى ، واستطاع به أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . .

وليس يعفى المسلم المثقف من واجبه نحو دينه أن له عملا يشغله ، أو أن له ثقافة أخرى تستأثر به

وحسب القادر على الدعوة براعة لنفسه أن يصلح بها فيما يتصل به ، وفيما يستطيع أن يجهر بدعوته حتى تبلغ .

يستوى فى ذلك رجل الأزهر وغيره ممن فرضناه مسلما عارفا ، فضلا عن أن يكون على علم دينى غزير .

فى ظل هذا المبدأ قامت طائفة الإخوان ، وما عرف أحد أن لها مأربا آخر تسعى إليه ، وأن لها وسائل خفية تعتمد عليها ، وقطعت أشواطها غير مفهوم سرها ، حتى آل أمرها

مكتبتنا العربية

إلى ما آلت إليه ، وتبين أنها كانت تغرى الشباب المتعلم بالمراكز فى وظائف الحكم ، وتغرى العمال بالثراء ، وتتحبب إلى ذوى العقلية المستنيرة ، بأنهم أجدر من سواهم بالسيادة والجاه ، حتى تغلغلت الفكرة ، وطمعت المطامع ، ولم يعد الدين إلا لونا يبتهج به من انخرط فى الجماعة من البسطاء ، وهو يتعجل الأمل المنشود له ، فإن لم يظفر به فهو إلى الجنة لاشك .. فلم تكن حاجة الناس إلى الدين هى وحدها السبب الأول والأخير فى ركون الشباب وغير الشباب إليهم ، ولذلك اندمج فيهم من يعمل للشيوعية ، ومن يرتكب المآثم ، ولم يعرف بين خواصه بوازع الدين .

والقائل بأن الرغبة الدينية هى كل السبب لايجهل السوابق التاريخية فى الآفاق ، وفى طول الحياة الدينية وعرضها ، ولم تكن جماعة الإخوان إلا مثلا جديداً لتلك السوابق

فليهام الناس أن الحاجة إلى الدين هى التى ألفت بين تلك الجماعة كلها ، وأن قعود الأزهر عن واجبه ، هو الذى مكن لهذه الجماعة أن تتألف ، وأن تكون خطراً فى الدولة ، كلام له خبىء ، وهو زعم غير منصف ولا صادر عن الرجوع إلى الضمير ، وأقرب ما يفهم منه أنها محاولة للصق التهم بالأزهر من أبعد الطرق .

وأحسبهم لو احتكموا إلى الضمير وتوخوا الإنصاف - كما رغبوا إلينا - يشهدون أن الأزهر يبلى بلاءه الحسن فى القيام برسالته ، وأنه دائما يستخدم وسائله الممكنة المشروعة فى بث الدعوة الإسلامية ، وبيان الحلال البين ، والحرام البين ، وفى تعليم الناس ما بين الحلال والحرام من أمور مشتبهات .

هم لا ينسون ولا ينسى الناس معهم أن الأزهر كثيراً ما خوصم وخاصم ، وكثيراً ما تعرض لغمزات الأقلام المتكسبة فى سبيل دفاعه عن الحلال ، ودفعه للحرام ، ولم يكن سوى هذا بين الأزهر وبين المناوئين له ممن لايزالون يقفون فى وجهه ، كلما طاب لهم أن يناوئوا .

فإذا تحدث الأزهر فى شىء من رسالته قالوا له : لست وصياً على المسلمين ، وإذا أهاب بالدعوة إلى أدب القرآن قالوا : نحن نفهم القرآن أكثر من أهل الأزهر ، وإذا بين مخالفة الناس لسنة الرسول فيما بينهم من شئون ، قالوا : وما قيمة السنة التى تأتوننا بها أمام عقولنا وأفهامنا الخ .

مكتبتنا العربية

بهذا ونحوه يقفون فى وجه الأزهر .

وما رأينا يوما من ينهض إلى تحكيم الضمير فيقول لهؤلاء العباقرة : تجاوزتم ما يصح أن يقال .

وإنا نرى اليوم من يحتكم إلى الضمير ليلقى على الأزهر جناية غيره حاسبا أنه منصف .

قيل فيما قيل : لو تعرف الأزهر واجبه ، واتخذ لهذا الواجب وسائله ، لما قامت جماعة الإخوان ، ولا راجت دعوتهم .

والأزهر لا يرضى - من قبل ولا من بعد - أن يسلك فى دعوته طريق الإغراء بالوظائف والثراء والسيادة والجاه ، والتهوين على الأغرار من جريمة الدماء ، وزحزحة الحكام عن مراكزهم ، فتلك هى الجاذبية التى جعلتهم يتكتلون . وفيما عدا ذلك فالأزهر سابق إلى غايته من كل سبيل مشروعة ، وما نحب أن نطيل فى شأن يلمسه المصغون إلى الدعوة الدينية من منافذها المفتوحة ، وهم كثيرون وكثيرون جداً ، والحمد لله .

وقيل فيما قيل : لو فعل الأزهر ما يفعله القساوسة فى فرنسا وإيطاليا وألمانيا وأمريكا لكان قائماً بواجبه .

ونحن لا ندرى مقدار هذا التفضيل من الصحة ، فكل شىء مما هنالك يعجب بعضنا ولو لم يعجب أهله .

ولسنا نرى من وراء الحجب ما لا سبيل إلى رؤيته من تلك الوسائل التى يطلبونها إلينا ، وإنما نعرف وسائل كريمة يقرها الدين ، ولا يرهقنا بأكثر منها ، ولا تعلق بها الشبه ، وهى التى يتذرع بها الأزهر فى دعوته ، ويضاعف بها من نشاطه فى الرسالة التى ينهض بها آخرون .

تعودنا من أناس بيننا أن يناهضوا الأزهر غير متئدين ، وليس بين الأزهر وبينهم إلا مثل ما بين الرشد والغى والحق الباطل .

ولعلها بضاعة يرونها جديدة ترضى أهواء من لا يمعنون فى الحقائق .

ومهما صاحوا فى وجه الأزهر ، واتهموه يوما بأنه لم يبد حكم الله فى شأن المفسدين من الإخوان ، أو اتهموه - حينما أبدى الحكم الدينى بعد أن تكشفت غوامضه - بأنه جبان فى فتواه ، إذ لم يذكر فيها أسماء المنحرفين من الإخوان على وجه التعيين : مهما كلفوا أنفسهم بتلك الصيحات ، فأمرهم هين .

مكتبتنا العربية

ولكن الذى لا يهون الرضا عنه ، أن يكتب عالم كاتب ، له مكانته الأدبية ، ثم هو يجارى أولئك فى التحامل على الأزهر بغير حق ، والعهد به أن يتسامى عن هذه المهاترات - وهو أولى بذلك - وأن يجنح بنفسه إلى حكم الضمير .

وما رأى العالم الجليل والكاتب الكبير فى أن الأزهر دعاه صريحا إلى التعاون معه فى القيام بالدعوة الدينية الإسلامية ، ورحب الأزهر به كمسلم له ثقافة أزهرية واسعة ، وثقافة غربية واسعة ، وعليه واجب دينى فى الدعوة ، ولا يعفيه من واجبه هذا أن يقف عند النقد ، دون أن يدلى برأيه مع الأزهر فى الناحية التى تتهيأ له . . والأزهر الصريح لم يكن مرائيا فى هذه الدعوة .

وإنما هى روح طيبة تكره الخصومات ، وتنسى الحزازات ، وتحتقر الأنانية ، وتجنح إلى المسالمة التى يرتضيها الدين ويأمر بها القرآن .

وعند تلبية الدعوة عملياً تتاح الفرصة للكاتب الجليل أن يفصل لنا ما أجمله عن القساوسة ، وأن يبصرنا بما غاب عنا من الوسائل الجدية فى اعتباره ، ويكون تعاونه - على أى نحو - مبرئا لذمته من واجبه أمام الله ، ويكون أجدى نفعا من إثارة الريبة ، وتكلف الاعتذار ، واصطناع التلطف . أما التخلف من عالمنا الجليل عن واجبه الأول نحو دينه ، ثم صيحته بالنقد والتشفى ، فأمر لا أراه جدا ولا مستساغا .

وأخيراً لم تخير الكاتب الجليل لنفسه أن ينفرد بالكتابة فى الغمز فى الأزهر بهذه المناسبة البعيدة عن الأزهر ؟ . ولم تخير أن تكون كتابته هذه عقب البيان الذى نشرته جماعة كبار العلماء ، ووقع موقع الحق والصدق فى شأن الإخوان ، وموقع الاستحسان لدى العام والخاص فى مصر وغيرها ؟ !

لا زلت على شىء من حسن الظن ، وأستبعد ما يقال : من أنه شق على وزير سابق ألا يسبق إلى موازرة الأزهر بضم جمعيات تحفيظ القرآن إليه ، وكانت الفرصة متاحة له يوم كان وزيراً للمعارف ، فلما تولت الفرصة ، وكان أجدر بانتهازها قبل الثورة ، أراد أن يتخذ من الطعن على الأزهر معذرة عن نفسه فى أنه لم يفعل .

وما هكذا يا سعد تورد الإبل ؟

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

مكتبتنا العربية

القلة والكثرة فى القرآن

تعارف العامة من الناس على أن القلة تفيد الضعف والضآلة ، وأن الكثرة توحى بالقوة والغلبة ، وقد يعتمدون فى هذا الفهم على مثل قول الأول : « وإنما العزة للكاثر » ، كما أنهم قد يعتمدون على أصل المعنى اللغوى لكلمتى قليل وكثير ، فإنهما يستعملان فى الأعداد ، والعدد القليل أضأل بطبيعة الحال من العدد الكثير .

جاء فى (مفردات القرآن) للراغب الأصفهانى : « القلة والكثرة يستعملان فى الأعداد ، كما أن العظم والصغر يستعملان فى الأجسام ، ثم يستعار كل واحد من الكثرة والعظم ، ومن القلة والصغر ، للآخر [1] » .

وفى أساس البلاغة للزمخشرى : « فى ماله قلة وقل ، (والربا وإن كثر فهو إلى قل) ، والحمد لله على القل والكثر ، وأخذ قله وترك كثره ، أى أقله وأكثره [2] » .

هذا هو أصل المعنى اللغوى لكلمتى القلة والكثرة ، وذاك هو متعارف الناس فى استعمالها وفهم معناهما ، ولكنى تأملت فى استعمال القرآن الكريم لهاتين الكلمتين ، فإذا طريقة أخرى لافتة للأبصار والبصائر ، وإذا هذه الطريقة تتلخص فى أن القرآن الكريم إذا ذكر « القلة » فهو يذكرها غالبا فى مقام المدح والتقدير ، والإشارة إلى أن القلة الطيبة خير من الكثرة السيئة ، وإذا ذكر « الكثرة » فهو يذكرها غالبا فى مقام الاستخفاف وقلة المبالاة ، والإشارة إلى أنها لا تغنى ولا تدوم ، اللهم إلا إذا نسبت الكثرة إلى الله ، فإنها حينئذ تكون جامعة للحسنيين ، لكثرة العدد وجلال القيمة ...

ولا يعكر على ذلك أن نرى بعض الآيات الكريمة يذكر فيها الخير والشر موصوفين بالكثرة ، كقوله تعالى : « يضل به كثيرا ، ويهدى به كثيرا » ، فلهذا وجهه وتأويله :

---

(١) المفردات للاصفهانى ص ٤٢٠ (٢) الأساس ج ٢ ص ٢٧٣ .

مكتبتنا العربية

يقول النيسابورى : « وأهل الهدى كثير فى أنفسهم ، وحيث يوصفون بالقلة (وقليل من عبادى الشكور - وقليل ماهم) إنما يوصفون بها بالقياس إلى أهل الضلال ، وأيضا فإن المهديين كثير فى الحقيقة ، وإن قلوا فى الصورة .

إن الكرام كثير فى البلاد ، وإن قلوا ، كما غيرهم قل وإن كثروا [1] »

ويقول جار الله الزمخشرى عند تفسير الآية السابقة :

« فإن قلت : لم وُصف المهديون بالكثرة والقلةُ صفتهم : (وقليل من عبادى الشكور — وقليل ما هم — الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة) ... ؟ قلت : أهل الهدى كثير فى أنفسهم ، وحين يوصفون بالقلة إنما يوصفون بها بالقياس إلى أهل الضلال ، وأيضاً فإن القليل من المهديين كثير فى الحقيقة ، وإن قلوا فى الصورة ، فسموا ذهابا إلى الحقيقة كثيراً :

إن الكرام كثير فى البلاد ، وإن قلوا ، كما غيرهم قل وإن كثروا [2]

وقد علق على هذه العبارة الزمخشرية ابن المنير الإسكندرى بقوله :

« جوابه صحيح ، وتنظيره بالبيت وهم ، لأن الشاعر إنما ذهب إلى أن عدد الكرام وإن كان قليلا منهم فى نفسه فالواحد منهم لعموم نفعه وانبساط كرمه يقوم مقام ألف من جنسه مثلا ؛ وعدد اللئام وإن كثروا فالا كثرون منهم يعد بواحد من غيرهم ، لغل أيديهم وانقباضها عن الجود ، وعدم تعدى نفعٍ منهم إلى غيرهم ؛ كقول ابن زيد :

الناس ألف منهم كواحد وواحد كالألف إن أمر عرا

وأما الآية فمضمونها أن عدد المهديين كثير فى نفسه ، ومضمون الآيات الأخر أن عددهم قليل بالنسبة إلى كثرة عدد الضالين ، فعبر عنه تارة بالكثرة نظراً إلى ذاته ، وتارة بالقلة نظراً إلى غيره ، فليس معنى البيت من الآية فى شىء » [3] .

---

(١) تفسير النيسابورى على هامش الطبرى ج ١ ص ٢٠٤ .

[٢] تفسير الكشاف ج ١ ص ٥٧ ، ٥٨ . [٣] المصدر السابق .

مكتبتنا العربية

ونعود بعد ذلك إلى استعمال القرآن الكريم لكلمتى « القلة والكثرة » حتى نرى مدى انطباق القاعدة التى استخلصناها من قبل .

يقول القرآن المجيد عن أهل النعيم الفائزين بالرضا والرضوان : « أولئك المقربون ، فى جنات النعيم ، ثلة من الأولين ، وقليل من الآخرين [١] » ؟ فنراه قد وصفهم بأنهم ثلة أى جماعة من الأولين ، أى الأمم السالفة قبل محمد صلى الله عليه وسلم ، وقليل من الآخرين أى ما جاء بعد الرسول ، فوصف أتباع الرسول عليه الصلاة والسلام الذين ينالون رضوان ربهم السابغ بالقلة ، والقلة هنا بالنسبة لسائر الأمم ، لا لأمة واحدة ، وإلا فسابقو أمة محمد أكثر من سابقى أية أمة منفردة .

ويصف القرآن الكريم الذين آمنوا وعملوا الصالحات الذين لا يبغون على أحـــد ، ولا يظلمون غيرهم فى شىء ، بأنهم قليل ، فيقول : « وإن كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم [٢] » ، أى : وهم قليل ، و « ما » هـذه مزيدة للإبهام والتعجب من قلتهم كما يقول البيضاوى فى تفسيره .

والذين استجابوا لنوح عليه السلام ، وآمنوا به ، ليسوا كثيرا ، بل هم قلة . « وما آمن معه إلا قليل [٣] » . قيل كانوا تسعة وسبعين : زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة ونساؤهم واثنان وسبعون رجلا من غيرهم .

والذين يشكرون نعمة ربهم على وجه الشكر ليسوا عددا ضخما . « وقليل من عبـادى الشكور » . والشكور القليل فى العباد هو الذى يتوفر على أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه فى أكثر أوقاته ، ومع ذلك لا يوفى حقه ، لأن توفيقه للشكر نعمة تستدعى شكرا آخر ، لا إلى نهاية ، ولذلك قيل : « الشكور من يرى عجزه عن الشكر [٤] » .

والذين يعلمون أمر أهل الكهف على وجهه قليل ، ولا شك أن هذه المعرفة تنبىء عن

---

[١] سورة الواقعة الآيات ١٢ ـ ١٥ .

(٢) سورة ص آية ٢٤ . (٣) سورة هود ، آية ٤٠ .

(٤) تفسير البيضاوى .

مكتبتنا العربية

عظم المكانة وجلال الرتبة ، ومن هنا قال الأصفهانى عن القلة : « ويكنى بها تارة عن العزة اعتبارا بقوله : (وقليل من عبادى الشكور — وقليل ما هم) وذلك أن كل ما يعز يقل وجوده [١] » يقول القرآن عن أهل الكهف : « قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل »

والقلة المستضعفة لا يضيرها ضعفها ولا قلتها إذا آمنت وأيقنت ، بل قد تكون هذه القلة المؤمنة مفتاحاً لنصر الله المبين المفضى إلى الغلبة والسيادة والسعادة . « واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس ، فآواكم وأيدكم بنصره ، ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون [٢] » .

والناقضون للعهد كثيرون ، والثابتون على العهد المقبلون على الله قليلون « ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون[٣] » . والخطاب لليهود الذين نكثوا عهد الله ونقضوا ميثاقه ، وخالفوا أمره وتولوا عنه معرضين ، إلا من عصمه الله فحفظ العهد والميثاق ، وهؤلاء قليل جدا بالنسبة إلى الناكثين الناقضين المعرضين .

ويقول القرآن : « فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين[٤] » والحديث أيضا عن بنى إسرائيل بعد موسى ، والجماعة القليلة فى ميدان القتال لا تضيرها قلتها ، كما لا تنفع الجماعة الكثيرة كثرتها . « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين » .

ولا نريد التوسع فى عرض الآيات والتعليق عليها فيما يتصل بلفظ القلة ، وحسبنا أن نتدبر فى هذه الآية التى وردت بها كلمة « القلة » وهى تفيد التقدير وعظم الشأن :

« ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم » « لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا » ، « واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم » ، « وإذا لا يلبثون خلافك إلا

---

[١] المفردات ، ص ٤٢٠ .
[٢] سورة الأنفال ، آية ٢٦
[٣] سورة البقرة ، آية ٨٣
[٤] سورة البقرة ، آية ٢٤٦ .

مكتبتنا العربية

قليلا » ، « إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا ، فعسى ربى أن يؤتين خيراً من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا » ... الخ .

* * *

وننتقل إلى استعمال القرآن الكريم لكلمة « الكثرة » فنجد أنها تأتى غالبا فى مواطن الذم والسوء والاستخفاف والاستهزاء .

يقول القرآن : « قل لا يستوى الخبيث والطيب ، ولو أعجبك كثرة الخبيث » . والكثرة التى تعجب بنفسها لا تغنى شيئاً ، ولا تقوم مقام القلة الصابرة المتواضعة : « ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ، وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين » .

وحديث الناس المكثار أغلبه معثار : « لاخير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس » .

والكافرون والمجرمون والطاغون والضالون والمفسدون والجاحدون والفاسقون كثيرون ، ولكنها كثرة الهباء المنثور الذى لا تقوم له قائمة أمام سلطان الحق القيوم ؛ وحسبنا أن نتدبر - لندرك ذلك المعنى - الآيات التالية :

« الذين طغوا فى البلاد فأكثروا فيها الفساد » ، « منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون » ، « وكثير حق عليه العذاب » ، « وإن كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون » ، « ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين » ، « وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله » ، « إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون » ، « وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » ، « فأبى أكثر الناس إلا كفورا » ، « وما يتبع أكثرهم إلا ظنا » ، « وما وجدنا لأكثرهم من عهد ، وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين » ، الخ .

* * *

فإذا نسبت الكثرة إلى الله فإنها الكثرة الطيبة العامرة الغامرة بكثرة عددها وعظم مكانتها وجلال قدرها ، فالله يحدث عباده عن الأماكن التى نصرهم فيها — وما أكثرها

مكتبتنا العربية

وما أجلها — فيقول : « لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة » ، وهو سبحانه يتحدث عن نعمه وآلائه ومغانمه فإذا هى كثيرة حسا ومعنى ، وعددا وقيمة ، فيقول : « فعند الله مغانم كثيرة » ، ويقول : « وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها » .

ويتحدث عن نعيم الجنة وخيراتها ، فإذا هى كثيرة حقا وصدقا : « لكم فيها فواكه كثيرة » . « وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة » ، « متكئين فيها ، يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب » ... الخ .

ماذا نستفيد من ذلك ؟ ... نستفيد أن القرآن الكريم وهو كتاب حكمة وتوجيه وتهذيب يعمد إلى إلباس بعض الكلمات معانى خاصة ، ليثير بها الهمم ويصحح بها الموازين . ونستفيد أن القلة الراشدة تسير إلى خير ، ولا تضيرها هذه القلة ، وأن الكثرة الضالة تصير إلى الانخذال والبوار . ونستفيد عدم المبالاة بطغيان المستكثرين ، فعما قليل يعز الحق المستضعف القليل . « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » . ونستفيد أن « عزة الكاثر » إنما تكون حقا وصدقا من الله وبالله ، سبحانه هو رب العزة والجبروت ، ومصدر الهداية والتوفيق ؟

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

من حكم السيد أحمد الرفاعى

(٥١٢ — ٥٧٨)

* لفظتان ثلمتان فى الدين : القول بالوحدة ، والشطح المجاوز حد التحدث بالنعمة .
* دفتر حال الرجل أصحابه .
* الاطمئنان بغير الله خوف ، والخوف من الله اطمئنان من غيره .
* الدنيا والآخرة بين كلمتين : عقل ودين .
* الطريقة الشريعة .

مكتبتنا العربية

هذه هى الحياة

نجح الفلاسفة المتشائمون ، والشعراء الباكون ، والوعاظ المتزمتون ، فى خلق صورة قاتمة مظلمة للحياة ، واستطاعوا أن يقروا فى أذهان الناس أن الحياة وحش كاسر لا عمل له إلا النهش والافتراس ، وأنه فاتك رهيب يتربص بالناس الدوائر ، حتى سرى هذا الداء إلى الذين عاشوا طوال أيامهم يرفلون فى مطارف النعيم ، ويعيشون فى أجواء كلها بهجة وسرور ، فجعلوا هم الآخرون ينشئون نغمات حزينة أخرى فى قيثارة الحياة ، فاصبحت لا تكاد تسمع إلا لحنا باكيا ، ولا تأمل أن تظفر بأنشودة فرحة ، تشرح الصدر ، وتريح المتعب المكدود : شعر حزين ، وموسيقى باكية ، وفلسفة غامضة ، مبهمة ، متشائمة ، ووعظ قابض رهيب . . وهكذا ... وهكذا .

ولكن ، أحقا ، هذه هى الحياة ؟ أحقا أن الحياة كما يقول شوقى :

أخا الدنيا ، أرى دنياك أفعى تبدل كل آونة إهابا

أحقا أن الحياة كما يقول أبو العلاء :

تعب كلها الحياة فما أعـــجب إلا من راغب فى ازدياد

قد يكون هذا بعض الحق ، أما بعضه الآخر فإن فى الحياة طيبات كثيرة ، ومسرات ومتعا ، وإذا كان أحد وجهيها مظلما قاتما ، فإن وجهها الآخر مشرق مضىء .

وليس لزاما علينا — كما يريد لنا هؤلاء — أن ننظر دائما إلى الحياة من جانبها المظلم ، وأن نصحبها على أنها عدو لا نرى من صداقته بدا ، بل من حقنا — كما أراد لنا الله — أن نتمتع بالطيبات من الرزق ، وأن نحل لأنفسنا زينة الله التى أخرج لعباده ، وأن نكون عند ما يحبه الله . وإن الله ليحب أن يرى أثر نعمته على عبده .

وما من شك فى أن هذا المنهج فى فهم الحياة يعيننا على أن نؤدى واجباتنا على أكمل الوجوه ، وعلى أن نشارك — مخلصين — فى العمل لإسعاد الإنسانية ، فليست الحياة

مكتبتنا العربية

غولا مخيفا ، يخوف به الأطفال ، كما أنها ليست جنة وارفة الظلال ، جارية الأنهار ، دانية الثمار ؛ وإنما هي مزيج من الخير والشر ، وخليط من الحلو والمر ؛ فعلينا أن نعيش في كل جانب من جوانبها ، وأن نأخذها — دائماً — كما هي ، فلا تذهب الهموم بأحلامنا ، ولا تحطم الأحزان أعصابنا ، ولا شك أنا إذا فهمنا الحياة فهما حقيقيا استطعنا أن نتغلب على كل مخاوفها .

* * *

نحن في ميدان كفاح ، والبطل في المعركة معرض للنصر وللهزيمة ، وهو غرض لأن يصاب ، وربما نجا ، فمن الحزم أن ندخل المعترك على هذه النية ، وحينئذ لا تفت الهزيمة في أعضادنا ، وكما قالت الخنساء :

جـزرنا تواصى فرسانهم وكانوا يظنون ألا تجزا
ومن ظن ممن يلاقي الحروب ، بأن لا يصاب فقد ظن عجزا

وإذا كان الأمر كذلك ، فالظفر لمن تقوى إرادته ، وتسمو نفسه فوق الضرورات ، ويتسع صدره لكل ما ساء وضر .

لا أرى الأيام إلا معركا وأرى الصنديد فيه من صبر
فلك جارٍ ، ودنيا لم يدم عندها النحس ، ولا السعد استمر

أما العاجز الجبان فنيته رهن بأول الجولة ، يهاب حتى تكاد تقتله الهيبة ، فإذا قاتل ، قاتل قتال الموقن بالهزيمة . فلا تقوى رجلاه على حمله ، وشر ما في الحياة اليأس من الظفر ، وأول أسباب اليأس فهم الحياة فهما غير صحيح . ألم تر إلى الشاب الناضر العود ، المستقبل لمباهج الحياة ، يرسب في الامتحان ، أو يخفق في حب طائش ، أو يجد مضايقة من والديه ، فيلقي الحياة وراء ظهره ، ويسرع إلى كأس السم يتجرعها ، أو إلى شرارة النار يسلطها على جسده ، أو يلقي بنفسه في أعماق البحر ، ولو أنه كان يفهم أن الحياة كفاح ، وأن المرء عليه أن يسعى وليس عليه إدراك النجاح ، وأن الإخفاق لا يدوم ، بل ربما كان الإخفاق حافزا على العمل النافع المفيد ، ومؤديا إلى نجاح باهر ، ولو كان يفهم أن الحياة أغلى من أن يضحى

مكتبتنا العربية

بها فى نوافه الأمور ؛ لو أنه فهم كل ذلك لأراح قلبه من هم مقيم مقعد ، ولأبقى على نفسه الغضة ، فأعفى أجفانا أن تقرح ، ورحم قلوبا أن تحطم .

الحياة جميلة ، حتى حينما يعبس وجهها . وهى لا تأتى من خارج النفس ، وإنما تنبثق من داخلها ؛ فالصبح المنير البهيج هو ليل مظلم عند صاحب المزاج المختل ، والليل المظلم القاتم هو صبح مشرق عند صاحب النفس المستبشرة المؤمنة ، وكثيرون هم أولئك الذين يبكون من غير داء ، ويتألمون من غير علة . فما أحراهم أن يسمعوا إلى هذا الشاعر الناصح الأمين :

أيها المشتكى وما بك داء ... كن جميلا ترَ الوجود جميلا
إن شر الحياة فى الأرض نفس ... تتوقى — قبل الرحيل — الرحيلا
هو عبء على الحياة ثقيل ... من يظن الحياة عبئاً ثقيلا
والذى نفسه بغير جمال ... لا يرى فى الوجود شيئا جميلا
فتمتع بالصبح ما دمت فيه ... لا تخف أن يزول حتى يزولا
قل لقوم يفرّحون الملاقى ... هل شفيتم من البكاء غليلا ؟ !
يا أخا البؤس للحياة لنشقى ... فأريحوا — أهلَ العقول — العقولا

ولكن لا ينبغى أن يفهم من نصيحتنا هذه أنا ندعو الناس إلى أن يقضوا أعمارهم فى الوتياد أماكن اللهو ، وأن يشغلوا أوقاتهم بالفكاهات والبطالات ، فما إلى ذلك أردت ، وفرق بعيد بين أن تدعوك — أيها القارىء — إلى أن تتقبل كل ما تأتى به الحياة ، بصدر رحب ، وبنفس مؤمنة واثقة بالخير ، وأن تتمتع بما أباح لك الله من نعم ، وبين أن تدعوك إلى أن تلهو مع اللاهين ، وتعبث مع العابثين .

جاهد فى الحياة ، وخذ نصيبك منها ، ولكن إياك أن تكون فريسة للوهم ، مستسلما للآلام ، منهار الأعصاب ، تؤلمك اللمسة الخفيفة ، وتعكر عليك صفوك الكلمة العابرة ، فإذا أبيت إلا أن تعبس منظاراً أسود قاتما ، وتنظر إلى كل شىء من خلفه ، فأنت وما أردت لنفسك ، ولكن ثق أن التى وصفت لك هى الحياة ! ؟

على العمارى

مكتبتنا العربية

مظاهر الهـــــدم

فى الأفلام المصرية

— ١ —

أضحت صناعة السينما فى مصر من الأهمية بمكان ، وفى الوقت نفسه فى أمس الحاجة إلى إصلاح شامل يجعلها قادرة على تحمل المسئولية الملقاة على عاتقها فى خدمة التوجيه والتثقيف والإرشاد العام ، ويحتاج هذا إلى تلمس مواطن الضعف فيها ، وتأصيل وظائفها وتدعيم الأساس الذى تقوم عليه .

وبحث مشكلة السينما فى مصر متشعب النواحى ، فقد تبحث باعتبارها فناً من الفنون ، أو صناعة من الصناعات ، أو أداة ووسيلة حيوية لتوجيه الشعب وتثقيفه وإرشاده ، وهى الناحية التى سنعرض لها هنا ، لنتبين إلى أى مدى استطاعت السينما أن تحقق هذه الوظائف القومية فى المجتمع المصرى .

وإن من يتتبع الأفلام المصرية ، ويشاهد منها الكثير والكثير - وهى وفيرة العدد - ليخرج بحقيقة واحدة لايستطيع عنها حولا ، وإن أكثر من المشاهدة والتدقيق ، وتعب فى الفحص والاختبار ، هذه الحقيقة الوحيدة هى أن هذه الأفلام قد فشلت فشلا ذريعاً فى تحقيق الأهداف المذكورة ، وعجزت عجزاً تاماً عن أداء الوظائف الحيوية فى خدمة الإرشاد العام فى المجتمع المصرى ، مؤثرة عنصر التجارة على عنصر التوجيه ، ومطوحة بعنصر الفن ، وضاربة الصفح إلا عن الربح وابتزاز الأموال ... وسنستعرض هنا بعض المظاهر التى ينطوى عليها العرض السينمائى فى الأفلام المصرية ، والتى لا يكاد يخلو منها فيلم من الأفلام ، وهذه المظاهر كثيراً ما تندمج فى الفيلم الواحد ، ولكننا نستعرضها متفرقة ؛ لتتضح معالمها ، ويسهل فهمها .

ونبدأ بعرض براج (الكباريهات) ، فقلّ من الأفلام ما لانجد فيها من هذه البراج الكثير ، حتى لقد أحسست - كما يحس الكثيرون - أن (الكباريهات) تكون عنصراً

مكتبتنا العربية

هاماً من عناصر الحياة فى المجتمع المصرى ؛ لأن المفروض فى الفيلم المصرى أنه يعالج قصة مصرية ، تدور حوادثها فى هذا المجتمع ، فليس يفهم من هذا الاهتمام البالغ بعرض برامج (الكباريهات) فى أغلبية الأفلام المصرية إلا أنها عنصر أصيل من عناصر حياة المصريين ، ونحن وإن كنا نسلم أن السينما المصرية قد أضحت تكوّن مثل هذا العنصر ، فلا نسلم أن (الكباريهات) لها مثل هذا الدور فى مجتمعنا . ولعاقل أن يتساءل كم من المصريين ذهبوا إلى (كباريه) ؟ وكم ممن ذهبوا إليه اعتادوا ارتياده ؟ ! . هذا فضلا عن أن برامج (الكباريهات) لاتعدو أن تكون معرضاً للرقص العارى ، وإبراز مفاتن المحترفات له ، ويجلس أمامه أو حوله بعض من الرجال ممن لايجدون لأموالهم تصريفاً ، أو ممن يتمثلون بالحياة الغربية ، أو ممن يدمنون شهوة النظر ، أو ممن يرون فى هذا المعرض سوقاً للجسد ، أو ممن يعاقرون الخمر ولا يحسون لذتها إلا فى حلبات الرقص ومصاحبة النساء . ولمنصف أن يتساءل عن الرجل العادى إذا شاهد فى الأفلام المصرية مثل هذا المعرض ، ألا يأخذه الشوق إلى الذهاب إليه ؟ ألا يستحي من عدم مشاركته فى هذا العنصر الحيوى من عناصر الحياة فى مجتمعه ، خاصة إذا كان ممن يجرفهم التيار ، أو ممن له صفة من صفات هؤلاء الرجال ؟ !

نزيد على ذلك من الناحية الفنية أن عرض هذه البرامج فى أفلامنا المصرية هو من قبيل الحشو الذى يفقد القصة أساسها ، ويطوح بالغرض منها ، ويقطع وصل المناظر ، ويضجر المتفرج الذى من حقه أن يندمج فى القصة ، ويتتبع فصولها ، خاصة وأنه يعلم أنه يشاهد فيلما فى دار للسينما ، وليس يشهد استعراضاً فى صالة (كباريه) !

يقول أهل الأفلام : إننا ننتج الأفلام المصرية لمصر وللشرق العربى ، وأبناء هذا الشرق يهمهم أن يعرفوا الشيء الكثير عن الحياة فى مجتمعنا المصرى ، بل ويشتاقون إلى ذلك ، فحشو الفيلم المصرى إذاً بهذه البرامج وإن كان خطأ فنياً إلا أن له هدف الدعاية ، كما أنه يشبع حاجة أهل ذلك الشرق إلى رؤية مصر فى حياة الناس والفن فى مجتمعها ، ونحن نقول : لقد أدى هذا الحشو أهدافه ، وعلم أبناء الشرق العربى أن الحياة فى المجتمع المصرى هى الكباريهات والمراقص والاستعراضات ، واشتقاق اللذة ، واحتساء الشراب فى علن !

وننتقل إلى مظهر آخر ، هو مظهر الرقص فى الأفلام المصرية ، والرقص قد تواضع

مكتبتنا العربية

الناس على أنه فن من الفنون له أصوله وأوضاعه ، وله تذوقه وتأثيره ، ولكل فن موضوع ، ولقد أرهقت نفسى كثيراً فى أن أجد للرقص موضوعاً غير استثارة الغرائز الجنسية ، وأعتقد أن أى منصف يرى ويحس ويكيف ويعقل لا يصل إلى غير هذا الموضوع فى ذلك (الفن) . أليس الرقص هو تفنن الراقصة فى إبراز محاسن أجزاء جسدها ، وهز جوانب هذه الأجزاء ، ومن الإبراز والاهتزاز تنشأ عملية يطلق عليها الراقصون فى علم الأجساد « فن الرقص » ؟!

ولو تحرينا الدقة فى القول لتعين علينا أن نقول : إن الرقص فى الأفلام المصرية أنواع وضروب ، فنرى فيها منه التوقيعى الذى وصفناه ، ونرى الاستعراضى الذى إن دل على شىء من الناحية الفنية ، فلا يدل على أكثر من أن المخرج يريد أن يقطع وقت المتفرجين ظناً منه أن مهمة الفيلم قطع الوقت فى استعراض الراقصين والراقصات ، دون اهتمام بإبراز فكرة من الأفكار التى تجعل للإرشاد القومى دخلا فى صناعة الأفلام ، وتوجيه الجماهير بوساطتها . إن الإكثار فى الفيلم من الاستعراضات بوجه عام دليل على تفاهة الفكرة فيه ، وحسبك أن تشاهد فيلماً مصرياً تكثر فيه هذه الاستعراضات لترى أنه لا فارق بين السينما والبلاج أو سوق النخاسة أو معارض الفاترينات ؟!

إن فن الفيلم - كما نراه - يقتضى أن يكون لكل فيلم فكرة أساسية تنطوى على ناحية من نواحى الإرشاد والتوجيه للجمهور فى قالب مشوق مؤثر ، ومن الطبيعى أن تتطلب فكرة الفيلم استعراض بعض المناظر ، وعرض بعض نواحى الحياة . ولكن هذا الاستعراض أو ذلك العرض يجب أن يخدم كل منهما الفكرة الأساسية فى الفيلم . ولا يصح أن يستقل حتى يصبح هو الفكرة الأساسية ؛ إذ الفيلم ليس وسيلة لقتل الوقت فحسب ، بل هو كذلك وسيلة للتوجيه والتهذيب والتثقيف والإرشاد . وهذه حقيقة لن يجادل فيها مصلح فنى فضلا عن أى عامل منصف . وقد يكون الرقص الاستعراضى المحتشم مفيداً وجميلا إذا كان يخدم فكرة سامية ، وفى حدود هذه الخدمة ، بحيث لا يزيد عن الغرض المرسوم له ، وفى نطاق الرغبة فى ترقيق المشاعر ، وتهذيب الأحاسيس .

والحقيقة المرة هى أن صانعى الأفلام لا يدققون فى فن الفيلم بقدر ما يرغبون فى إنجاز مجموعة كبيرة منها ، تباع رؤيتها فى سوق النظارة بمبالغ محترمة ، مبعثهم الأولى السعى إلى

مكتبتنا العربية

تحصيلها والحصول عليها ، وهم فى سبيل ذلك يترجمون من الأفلام الأجنبية استعراضاتها ، ويضعون بدل الممثلين الأجانب ممثلين من المصريين والمصريات ، حتى ليجبرهم ذلك على صبغ حياة المصريين بصبغة أجنبية فى حفلاتهم الراقصة ، فتراهم يصورون لك فى حياة المصريين المترفين الرقص الجمعى المشترك بين الذكور والإناث من خلق الله ، وكأنما هو صورة حيوية عادية لحياة المجتمعات فى مصر ، دون تفكير فيما يثيره التعود على رؤية هذا الرقص ، والإيمان بضرورته فى الحفلات والمجتمعات ، من مشكلات نفسية واجتماعية ، وإيقاع الإرشاد القومى فى محنة نرجو له منها الخلاص . ويكفى هنا أن نسجل فى مقام هذا الرقص الافرنجى المشترك - وأنواعه معروفة للمتفرجين من خلق الله - ما كتبه السيد مصطفى المنفلوطى على لسان بطل إحدى رواياته ؛ إذ قال :

« ويل لهؤلاء القوم المرائين الكاذبين ، يفسقون ويزعمون أنهم يرقصون ، ويقترفون صنوف السيئات والآثام ، ويقولون : إنهم يغنون أو يطربون ، ووالله ما اجتمعوا إلا ليختطف العاشق معشوقته من يد زوجها أو أخيها أو أبيها حين أعيته الوسائل إليها ، أو لتفتش الزوجة التى ملت زوجها وسئمته عن عشير جديد غير مملول ، أو ليلقى الأب بابنته العانس الضوضاء بين ذراعى فتى من الفتيان الأغرار ، يرجو أن يعميه الشغف الحاضر بها عن النظر إلى عيوبها فيقع فى حبالتها ، ويصبح على الرغم منه زوجاً لها . إن كانوا يريدون الغناء ، فهم لا يغنون إلا راقصين ، أو الرقص فلم لا يرقص الرجل إلا مع امرأة ، ولا ترقص امرأة إلا مع رجل ، ثم لا يرقصون إلا متلاصقين متماسكين ، كأنهم بين جدران مخادعهم أو وراء أستار نوافذهم وأبوابهم . من لهذا الزوج الغبى الذى يلقى بزوجته عارية الصدر والنهر والذراعين والكتفين بين ذراعى فتى جميل ساحر يلاصقها ويخاصرها ويقبلها بين حين وحين شهوات ما شاء ، أن تعود إليه ساعة تعود بالعقل الذى ذهبت به وبالقلب الذى كانت تملكه بين أضالعها ، ومن لهذا الأب الأبله المأفون الذى يتبرم بابنته ويستثقل مكانها منه ، فيقذف بها بين مخالب هذه الوحوش المفترسة ، ألا تعود إليه بعد قليل حاملة مع همها الأول همين آخرين : عاراً على رأسها ، وجنينا فى أحشائها . إنهم يقودون على أنفسهم من حيث لا يشعرون ، ويذرقون أعراضهم بأيديهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » .

أحمد طه السنوسى

مكتبتنا العربية

فى الأخلاق :

الصبر

الصبر عزيمة من أقوى العزائم ، التى تمهد للإنسان طريق حياته الشائك ، وتساعده على السير فى طريق الحياة ، بقدم ثابتة ، وقلب وثاب ، يخترق المعاقل الشدة ، وفى النهاية الحظوة بالغرض المنشود .

الصبر ، وما أدراك ما الصبر ؟ هو نفحة ربانية يهبها الله قلوباً قد استعدت لتحملها ، واستعدت أن تحتفظ بها كهدية نادرة ، ولا يمكن للإنسان أن يعيش بدونها ، إذ بدون الصبر يفنى الإنسان أدبياً ، وتطغى عليه مشاكل الحياة ، وتهزه أعاصيرها ، ويلين عوده الصلب أمامها ، وحينذاك تكون الهزيمة ، والموت الذى لاحياة بعده .

ليس من مات فاستراح بميت ... إنما الميت ميت الأحيـــاء
إنما الميت من يعيش كئيباً ... كاسفا باله قليـل الرجاء

الصبر ما أحسنه وما أجله !! ، هو جميل ، وأجمل منه أن تكون صبورا .

الصبر غال ثمنه ، عظيم أثره ، هو خلق الأنبياء والمرسلين ، وسلاح المتقين والمصلحين ، مانجح رسول ولا زعيم ولا مصلح إلا بالصبر ، فهو العدة المنتجة ، التى توصل إلى الغايات من أقصر طريق ، كل سلاح فى الحياة يستطيع أن يفله الزمن ، إلا سلاح الصبر ، فإنه الذى استطاع أن يهزم الزمن ، وصاحبه منصور مهما تلونت عليه الأيام ، ولعبت به السنون .

ولقد أعجبنى بيت قاله أحد الشعراء المحدثين ، فيه من الاستعارة مايلفت نظر أهل البلاغة والأدب ، ويجلى للناس قيمة الصبر فى نفوس الصابرين . قال :

يابائع الصبر لا تشفق على الشارى ... فدرهم الصبر يسوى ألف دينـار

* * *

أيها الأخ ، أدعوك للتحلى بفضيلة الصبر ، وأنا أعلم أنه شاق على النفس ، لأنى وأنت إذا لم نتخذ الصبر عدتنا فى الحياة ، فما الذى نصنع ؟ والشر أمر لابد منه ، والدهر عنيد ، إذا ترك فرة من الزمن ، فثق أنه غير ساه ولا لاه ، إنما يستعد لك ليهاجمك فى الصميم ، حتى تتكشف له حقيقة أمرك ، وإذاً ما الذى نصنع إن لم نصبر ؟ رويدك قليلا . . . ها هى ذى السماء أمامنا ، وها هى ذى الأرض أمامنا ، وها هو ذا الكون جميعه بنظامه

مكتبتنا العربية

أمامنا . تعال بنا نبدل أوضاعه ونظمه وفق ماتريد . . تعال بنا نقلب النظام الإلهى رأساً على عقب ، إن استطعنا إلى ذلك سبيلا . . والله لا أنا ولا أنت ولا أحد ، يستطيع شيئاً من ذلك ، إذاً ليس أمامنا إلا أن نصبر ، فلنصبر ، ولنصبر كثيراً ، ولنعتقد جميعاً أن الله مع الصابرين .

يقولون : الصبر مر ، وحقيقة أن الصبر مر ، لكن ألا ترى أنه جميل العاقبة ، وما أحسن الشيء إذا كان جميل العاقبة !! .

* * *

الصبر فضيلة دعا الله إليها فى كتابه ، ودعا الرسول إليها فى سنته ، ودعا إليها الحكماء فى حكمهم ، والشعراء فى أشعارهم .

قال الله سبحانه وتعالى : « والعصر ، إن الإنسان لفى خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » . وقال : « يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ، إن الله مع الصابرين » ، وقال : « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، وبشر الصابرين » ، وقال : « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « الصبر نصف الإيمان » ، وقال : « ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر » .

وقال الإمام على : الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، ولا جسد لمن لارأس له ، ولا إيمان لمن لاصبر له .

وقال بعض الحكماء : الصبر مطية لاتكبو . وقال آخر : بمفتاح عزيمة الصبر تعالج مغاليق الأمور .

وقال الشاعر :

إنى رأيت وفى الأيام تجربة ... للصبر عاقبة محمودة الأثر

وقلّ من جد فى أمر يحاوله ... واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

اللهم وفقنا للتحلى بفضيلة الصبر ، حتى نحظى بما وعدت به الصابرين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ؟

محمد مرسى محمد

المدرس بمعهد الزقازيق

مكتبتنا العربية

نظرية المساواة

فى الشريعة الاسلامية

— ٢ —

تحدثت فى المقال السابق [١] عن نظرية المساواة فى الشريعة الإسلامية . ونتكلم الآن فى تطبيق هذه النظرية فى سريان النصوص الجنائية على الأشخاص .

أولا : المساواة بين رؤساء الدول والرعايا :

تسوى الشريعة بين رؤساء الدول والرعايا فى سريان القانون ومسئولية جميع المواطنين عن جرائمهم . ومن أجل ذلك كان رؤساء الدول فى الشريعة أشخاصاً لا قداسة لهم .

وكان رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ يقول دائماً وهو نبى ورئيس دولة : « إنما أنا بشر يوحى إلى ، وما كنت إلا بشراً رسولا » . ودخل عليه أعرابى مرة فأخذته هيبة الرسول فقال ﷺ : « هون عليك ، فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد » . وتقاضاه غريم له ديناً فأغلظ عليه فهمّ به عمر بن الخطاب ، فقال الرسول : « مه يا عمر ، كنت أحوج إلى أن تأمرنى بالوفاء ، وكان أحوج إلى أن تأمره بالصبر » [٢] . وخرج أثناء مرضه الأخير بين الفضل بن عباس وعلى حتى جلس على المنبر ثم قال : « أيها الناس ، من كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهرى فليستقد منه ، ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضى فليستقد منه ، ومن أخذت له مالا فهذا مالى فليأخذ منه ، ولا يخش الشحناء من قبلى فإنها ليست من شأنى ، ألا وإن أحبكم إلىّ من أخذ منى حقاً إن كان له ، أو حللنى فلقيت ربى وأنا طيب النفس » . ثم نزل فصلى الظهر ، ثم رجع إلى المنبر فعاد لمقالته الأولى [٣] .

---

[١] ص ٣٣٤ من الجزءين الخامس والسادس .

[٢] زاد المعاد ج ١ ص ٥٩

[٣] التاريخ الكامل لابن الأثير ج ٢ ١٥٤

مكتبتنا العربية

وجاء خلفاء الرسول ﷺ من بعده فساروا على نهجه واهتدوا بهديه ، فهذا خليفته الأول أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - يصعد إلى المنبر بعد أن بويع بالخلافة فتكون أول كلمة يقولها توكيداً لمعنى المساواة هى قوله : « أيها الناس ، قد وليت عليكم ولست بخيركم ، إن أحسنت فأعينونى وإن أسأت فقومونى » . ثم يعلن فى آخر كلمته أن من حق الشعب الذى اختاره أن يعزله ، فيقول : « أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم » [1] .

وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يولى الخلافة فيكون أكثر تمسكا بهذه المعانى ، التى تدل على ما كانوا عليه فى صدر الإسلام . خطب يوماً فقال : « لوددت أنى وإياكم فى سفينة فى لجة البحر تذهب بنا شرقاً وغرباً ، فلن يعجز الناس أن يولوا رجلا منهم ، فإن استقام اتبعوه وإن جنف قتلوه » . فقال طلحة : وما عليك لو قلت : وإن تعوج عزلوه[2] .

وأعطى أبو بكر القود من نفسه ، وأقاد للرعية من الولاة . وفعل عمر بن الخطاب مثل ذلك ، وتشدد فيه فأعطى القود من نفسه أكثر من مرة [3] . ولما قيل له فى ذلك قال : « رأيت رسول الله ﷺ يعطى القود من نفسه ، وأبا بكر يعطى القود من نفسه ، وأنا أعطى القود من نفسى » [4] . ومن تشدد عمر فى هذا الباب أنه ضرب رجلا فقال له الرجل : إنما كنت أحد رجلين : رجل جهل فعلم ، أو أخطأ فعفى عنه . فقال له عمر : صدقت ، وذلك فاعزل ، أى اقتص .

ثانيا : المساواة بالملوك والولاة :

لم يكن العمل على المساواة على محاكمة الخلفاء والملوك والولاة أمام القضاء العادى بالطريق العادى ، فهذا أمير المؤمنين على بن أبى طالب فى خلافته يفقد درعا له ويجدها

---

(١) ابن الأثير جـ ٢ ص ١٦٠ .

(٢) ابن الأثير جـ ٣ ص ٣٠

(٣) سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص ١١٣ - ١١٥ .

(٤) الأم للامام الشافعى جـ ٦ ص ٤٤ .

مكتبتنا العربية

مع يهودى يدعى ملكيتها ، فيرفع أمره إلى القاضى فيحكم لصالح اليهودى ضد على . ويقص علينا التاريخ أن المأمون وهو خليفة المسلمين اختصم مع رجل بين يدى يحيى بن أكثم قاضى بغداد فدخل المأمون إلى مجلس يحيى وخلفه خادم يحمل طنفسة لجلوس الخليفة ، فرفض يحيى أن يميز الخليفة على أحد أفراد رعيته . وقال : يا أمير المؤمنين ، لا تأخذ على صاحبك شرف المجلس دونه ، فاستحيا المأمون ، ودعا للرجل بطنفسة أخرى .

وبعض الخصومات التى كانت تقع بين الخليفة والولاة وبين الأفراد كانت تفض بطريق شرعى بحت ، هو التحكيم ، كما فعل عمر بن الخطاب ، فقد أخذ فرساً من رجل على سوم فحمل عليه فعطب ، فخاصم الرجل عمر ، فقال عمر : اجعل بينى وبينك رجلا ، فقال الرجل : إنى أرضى بشريح العراقى . فقال شريح لعمر : أخذته صحيحاً سليما فأنت له ضامن حتى ترده صحيحاً سليما . وكان هذا الحكم الذى صدر ضد عمر هو الذى حفز عمر لتعيين شريح قاضياً .

وفقهاء الشريعة الإسلامية وإن كانوا يشترطون فى الإمام شروطاً قد لا تتوفر فى كل شخص ، إلا أنهم يسوونه بجمهور الناس أمام الشريعة ولا يميزونه عنهم فى شىء . وهذا متفق عليه فيما يختص بالولاة والحكام والسلاطين والملوك الذين يخضعون للخليفة أو يستمدون سلطانهم منه ، ولهم فى سريان نصوص الشريعة عليه نظريتان :

النظرية الأولى : وهى نظرية أبى حنيفة ، ويرى أن كل شىء فعله الإمام الذى ليس فوقه إمام مما يجب به الحد كالزنا والشرب والقذف لا يؤاخذ به إلا القصاص والمال ، فإنه إذا قتل إنسانا أو أتلف مال إنسان يؤاخذ به ، لأن الحد حق الله تعالى وهو المكلف بإقامته ، ومن المتعذر أن يقيم الحد على نفسه ، لأن إقامته بطريق الخزى والنكال ، ولا يفعل ذلك أحد بنفسه ، ولا ولاية لأحد عليه ليستوفيه ، ولأن فائدة الإيجاب الاستيفاء ، فإذا تعذر لم يجب ، بخلاف حقوق العباد كالقصاص وضمان المتلفات ، لأن حق استيفائها لمن له الحق فيكون الإمام فيه كغيره ، وإن احتاج إلى المنعة فالمسلمون منعته ، فيقدر بهم على الاستيفاء ، فكان الوجوب مفيدا [1] .

---

(١) شرح فتح القدير حـ ٤ صـ ١٦٠، ١٦١ ، البحر الرائق حـ ٥ صـ ٢٠ ، الزيلعى حـ ٣ صـ ١٨٧

مكتبتنا العربية

فالفعل المحرم فى رأى أبى حنيفة يظل محرما ويعتبر جريمة ولكن لا يعاقب عليه لعدم إمكان العقاب ، ويترتب على هذا أن الإمام لو زنا وهو محصن فقتله أى فرد من الأفراد ، فإن القاتل لا يعاقب على القتل ، لأنه قتل شخصاً مباح الدم ، إذ الزنا من محصن عقوبته الموت ، ولما كانت عقوبة الزنا من الحدود ، والحدود لا يجوز تأخيرها ولا العفو عنها ، فإن قتل الزانى المحصن يعتبر واجبا لا بد منه إزالة للمنكر ، وتنفيذا لحدود الله ، فمن يقتل الزانى المحصن فإنه يؤدى واجباً عليه ، ومن ثم فلا يمكن اعتباره قاتلا .

أما الجرائم التى تمس حقوق الأفراد كالقتل والجرح فيرى أبو حنيفة أن الإمام الذى ليس فوقه إمام يؤخذ بها ويعاقب عليها ، لأن حق استيفائها ليس له أصلا وإنما هو للمجنى عليهم وأوليائهم ، وإذا قام الإمام باستيفاء العقوبة فى هذه الجرائم فإنما يقوم به نيابة عن الأفراد ، ولمنع الحيف والإضرار بالغير ، فإذا ارتكب الإمام جريمة من هذا النوع كان للأفراد أصحاب الحق الأصلى فى استيفاء العقوبة أن يستوفوا العقوبة من الإمام مستعينين فى ذلك بالقضاء وبالجماعة . وإذا استوفى الأفراد العقوبة الواجبة عن غير طريق القضاء فلا حرج عليهم ، لأنهم فعلوا ما هو حقهم [1] .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ويؤخذ على نظرية أبى حنيفة أنها تقوم على أساس ضعيف ، لأن الإمام ليس إلا نائباً عن الجماعة ، ولأن الخطاب فى التشريع الإسلامى موجه للجماعة وليس للإمام ، وإنما أقامت الجماعة الإمام ليقيم أحكام الشريعة ويرعى صالح الجماعة ، فإذا ارتكب أحد الأفراد جريمة كان للإمام أن يعاقبه بما له من حق القيام على تنفيذ نصوص الشريعة نيابة عن الجماعة . وإذا ارتكب الإمام نفسه جريمة عاد للجماعة حقها ، وعاقبت الإمام حيث لا يصلح للنيابة عنها فى هذه الحالة .

النظرية الثانية : وهى نظرية مالك والشافعى وأحمد ، وهؤلاء لا يفرقون بين جريمة وجريمة ، ويرون الإمام مسئولا عن كل جريمة ارتكبها سواء تعلقت بحق لله أو بحق للفرد ، لأن النصوص عامة ، والجرائم محرمة على الكافة بما فيهم الإمام ، يعاقب عليها من ارتكبها

---

[١] شرح فتح القدير جـ ٤ ص ١٦١

مكتبتنا العربية

ولو كان الإمام ، ولا ينظر هؤلاء الأئمة إلى إمكان تنفيذ العقوبة كما ينظر الحنفية ، لأن تنفيذ العقوبات ليس للإمام وحده ، وإنما له ولنوابه ، فإذا ارتكب جريمة وحكم عليه بعقوبتها نفذ العقوبة على الإمام أحد من ينوبون عنه ممن لهم تنفيذ هذه العقوبة [١] .

ولم يكتف الفقهاء بتقرير عقوبة رئيس الدولة الأعلى على ما يرتكبه من جرائم ، بل بحثوا فيما إذا كان ينعزل بارتكابه الجرائم ، فرأى البعض أن الإمام ينعزل بارتكابه المحظورات ، وإقدامه على المنكرات ، تحكيما للشهوة وانقياداً للهوى ، لأن عمله هذا فسق ، كما يمنع من انعقاد الإمامة يمنع من استدامتها [٢] .

وفق الله ولاة الأمر إلى تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية لنسعد ونستعيد مكانتنا الأولى . والله ولى التوفيق ؟

محمد محيى الدين المسيرى
ليسانس فى القانون

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

مكارم الأخلاق

جيء إلى رسول الله ﷺ بسفانة بنت حاتم الطائى أسيرة ، فقالت :

يا محمد ، هلك الوالد ، وغاب الوافد . فإن رأيت أن تخلى عنى ، ولا تشمت بى أحياء العرب . فإن أبى سيد قومه : كان يفك العانى ، ويحمى الذمار ، ويفرج عن المكروب ، ويطعم الطعام ، ويفشى السلام ، ولم يطلب إليه طالب قط حاجة فردّه . أنا ابنة حاتم طى .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

يا جارية ، هذه صفة المؤمن ، لو كان أبوك إسلاميا لترحمنا عليه . خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق .

---

[١] فقه القرآن والسنة ص ٩٧ ، الام للشافعى حـ ٦ ص ٣٦

[٢] الاحكام السلطانية للماوردى ص ١٤ ، أسنى المطالب حـ ٤ ص ١١١

مكتبتنا العربية

عماد الدين زنكى

- ٢ -

تجمع أمراء الدول اللاتينية فيما بينهم ، وتشاوروا فيما يصنعون ببطل فارس ، نجم فجأة أمامهم كأسد عصور يدوى غابه بالصياح والزئير ، ورأوا أن الهزيمة السالفة لابد أن يحى عارها قبل أن يدب الخور إلى النفوس ، فخفوا إلى « حلب » بغتة حيث انتظرتهم الهزيمة الثانية حاملة ما تحمله الهزائم من الرعب والدهشة والالتياث ، وقد اهتبل العماد حيرتهم البائسة فانقض بجنوده على « اللاذقية » [١] ولقى الفرنجة منه شراً مستطيرا فتناثرت أشلاؤهم فوق السهول والتلال ، ووقع فى الأسر أكثر من سبعة آلاف ، وفر الهاربون من المعمعة تاركين المدد الكثير من الذخائر والغنائم والأسلاب ، فأضيفت إلى الجيش الإسلامى وازداد بها العماد قوة وعتادا ، فمضى يحطم القلاع ويدك الحصون ووقع اسمه موقعاً مرعباً من أعدائه ، فأقلق المضاجع وأطار النوم عن الجفون .

لم يجد الفرنجة بدا من الاستنجاد بملك القسطنطينية ، فقد علموا مطامعه الواسعة وثأره القديم ، ورأوا أن وقوع الدول اللاتينية تحت يده قد يتيح لهم فرصة التنازل عنها دون جهد كبير ، وجاء الملك سريعاً وعسكر أمام « حلب » فامتنعت عليه ولم يجد منفذا يوصله إلى النصر فتوجه إلى « شيزر » [٢] ونصب المجانيق وشهر الأسنة والرماح ، وأراد أن يكسب نصراً عاجلا يحقق ظن الفرنجة فى بأسه ، ولكن عماد الدين يدلف إليه سريعاً ويعرض جنوده وأسلحته بحيث يراه ، ثم يبعث إليه يستعجل اللقاء فى الصحراء ، لتدور الدائرة على من تدور عليه ، فيستريح الجيش وينفض القتال ، وقد

---

[١] ثغر سورية الذى تتنفس منه الآن نسيم البحر الأبيض

[٢] قرب « المعرة » التى منها حكيم شعراء العرب أبو العلاء التنوخى

مكتبتنا العربية

ضاق ملك الروم ذرعا بهذا الاستعجال الجريء ، وظن فى خصمه من القوة والشكيمة ما يرهب ويزلزل ، فتباطأ وتثاقل ومضى وقت أعمل فيه العماد حيلته الحصيفة ، فأرسل إلى ملك الروم من خوّفه من الفرنجة ، وذكر له أنهم سيتركونه وحيداً إذا ادلهم الخطب ، كما أرسل إلى الفرنجة من ندد بملك الروم ونعى عليه تثاقله وانتظاره ، فوقع الشقاق بين الحليفين ، وفر ملك الروم إلى موطنه تاركا وراءه آلاف الذخائر والأسلاب ، فتبعه عماد الدين واستولى على الغنيمة الرائعة ، وأثخن فيمن أدركه ، ورجع منصوراً تتقبله التحيات العاطرة ، وتنهال عليه التهنئات ، ويفد إليه الأدباء والخطباء ، فيسجلون إعجاب المسلمين بقائدهم الباسل .

* * *

وقد حظى عصر العماد بطائفة من نوابغ الشعراء كابن القيسرانى ، وابن المنير ، وأبى المجد الحوى ، فتغنوا بمآثره وخلدوا فتوحه وأمجاده ، وما زال السيف فى حاجة ماسة إلى القلم يلهب العواطف ويهيج المشاعر ، حتى إذا أزفت الساعة ، وتلاحمت الصفوف ، دفع بالنفوس الظامئة إلى التضحية والاستشهاد ، وقد كان الشعراء قبل العماد يتلمسون البطل المنقذ ، ليضفروا له أكاليل الثناء ، فلا عجب إذا أرسلوا قصائدهم الشادية ، وقد تحقق الأمل . وزأر الليث فى العرين .

لقد أعمل القائد حيلته الرشيدة ، فظفر بما لا تتيحه السيوف دون مشقة هائلة وكفاح مرير ، وها هو ذا يعمل حيلته الثانية ، ليضم إلى أمجاده الخالدة مجداً جديداً ، فقد صمم على أن ينقذ (الرها) من أعدائها المغيرين ، فهل يوجه إليها قوته وقد أحاط بها الفرنجة من كل مكان ؟ هذا ما لا يشير به الفكر السديد ؛ فالأولى به أن يتغاضى عنها ظاهرا ويوجه جنوده إلى مدن أخرى ، كآمد ، [1] ، وحمص ، و ، ديار بكر ، ليطمئن الأعداء إلى تحول الخطر فى منطقة نائية ، وهذا ما كان ، فقد نزح صاحب الرها عن ولايته مطمئناً لحاميته وانشغال عماد الدين بفتوحه ، ولكن البطل الإسلامى يسرع إليها فيخلف ظنه ويفتح

---

[١] كانت عاصمة ديار بكر بن وائل ، وهى الآن ترطن التركية فى الأغلول

مكتبتنا العربية

مدينته ، فتسقط فى يده وترجع إليها عروبتها الأصيلة ، ويرتفع له صيت مجاجل ، ويتحدث عنه الركبان ! !

سقطت الرها كسيرة ذليلة ، وقد توقع المقيمون بها من الصليبيين شروراً كثيرة من العباد ، ولكن سماحة الإسلام تتغلغل فى أعماقه ، فلا يقتل أحداً غير المحاربين ، ولا يأسر امرأة أو طفلا أو شيخاً ، بل نشر ألوية الأمان على المدينة ، وقد حبب إليه كثير من أنصاره أن ينتقم لموقعة بيت المقدس ، فقد سالت بها دماء المسلمين ، وذبح الأطفال والنساء والشيوخ كالأنعام ، وتناثرت الأشلاء فوق الرمال ! ؟ ولكن البطل المسلم يظهر أريحية الإسلام وعدالته ، فيعتصم بالمروءة ويضرب المثل الصالح للخلق الكريم ، ويرسم الطريقة المثلى ليحتذيها من بعده ولده نور الدين[1] ، ثم تبلغ - بعدُ - أوجها الرفيع فى سيرة صلاح الدين ، فأين الذين يرمون الإسلام بالتعصب ويتهمون أبطاله بالعدوان ، ليتابعوا الحروب الصليبية فى حلقاتها المتلاحقة ثم ليقولوا كلمتهم ونقول ! !

على أن هذا البطل المتسامح لم يجد لدى أعدائه من يقدر مروءته ورجولته ، فتآمرت عليه العصابة الباغية وخبأت له نذلا من الأنذال يغتاله فى هجوعه الهادىء بعد أن عجزت عن لقائه فى حومة الكفاح ، وهكذا طارت روح الشهيد إلى بارئها العظيم هنيئة بالفردوس ، ناعمة بالخلود ، وقد خلف وراءه نجله الباسل نور الدين ليستأنف النصر عظيما عن عظيم .

* * *

وقد يلاحظ من يقرأ تاريخ الحروب الصليبية أن انتصارات العماد لا تجد من المؤرخين نصيباً كبيراً من الدراسة والتحليل إذا قرنت بما كتب عن نور الدين وصلاح الدين ، وذلك لأن بعض الكاتبين ينظرون إلى النتائج دون المقدمات ، فهم يسجلون المواقف الحاسمة دون أن يمهدوا لأسبابها ويرجعوا إلى عناصرها ومقوماتها ، وقد بزغ عماد الدين فى وقت تفرقت فيه الوحدة الإسلامية ، وحالت الأهواء الذاتية دون التماسك والاتحاد ، فبذل جهداً جبارا فى إقامة دولة متماسكة تكافح العدو المهاجم ، وتحارب الإقطاع محاربة حاسمة ، وقد استغرق ذلك من نشاطه وكفاحه جهدا ليس باليسير ، وحين اطمأن إلى قوته

---

(١) أستاذ صلاح الدين الأيوبى فى الحرب والسياسة والعدل الاسلامى الرحيم .

مكتبتنا العربية

بدأ فتوحه ومواقفه ، فدافع وهاجم وانتصر ، ثم جاء ولده نور الدين فوجد دولة منتصرة متماسكة ، فاستأنف السير وواصل الكفاح ، وسار فى الطريق المعبد أشواطا رائعة بارعة ، حتى أخذ مكانه صلاح الدين فتم على يديه النصر ، ورجعت الكعبة العربية بتأييد الله . ومثل عماد الدين مع البطلين الكبيرين كمثل أسرة أرادت أن تنشىء حديقة فيجاء فى أرض ذات صخور وأشواك وآكام ، فقام عميدها الكبير بإزاحة الأشواك وتسوية الطريق وشق الجداول وتهيئة البذور ، ثم وافاه أجله فاستأنف قومه الغرس والبذر ، وتعهدوا الزرع بالرى والتسميد ، حتى ترعرعت الأفنان ، وامتد الظل ، وتهدلت الثمار . ولولا ما بذله العميد من جهاد عنيف فى طريق شاق ما أينع الثمر ولا امتدت الظلال ! !

ونحن حين نذكر العماد إنما نأخذ من تاريخه عبرة بالغة لحاضرنا الأليم ، فقد احتلت الصهيونية الغادرة « فلسطين » ، وظن الغرب بالإسلام والعرب أسوأ الظنون .

ولولا الصليبية المتأصلة فى الغرب ما قام لليهود دولة فى بلاد الإسلام ، فمسيحيو أوربا وأمريكا هم الذين أوجدوا إسرائيل من العدم ، وكافحوا فى تحقيق حلمهم الصليبى بتمزيق الإسلام ، وتدمير مدنه وأبطاله ، متسترين وراء اليهود تارة ، ومجاهرين بالضغينة السافرة تارة أخرى ، بل إن الدعاية المغرضة التى تنتشر فى أمريكا اليوم عن الإسلام والمسلمين ، لتعيد لنا بطرس الناسك فى مفترياته وتباكيه ، فهم اليوم يرسمون الصليب ومن فوقه هذا عربى مسلم ، ليستصرخوا الأوربيين على الإسلام فى كل مكان ! ! !

والأمم العربية الآن فى جامعتها المتماسكة ، وإيمانها القوى ، خير مما كانت عليه أثناء الغزو الصليبى منذ بضعة قرون ، ولئن رزقت بطلا باسلا كعماد الدين لسوف تسجل انتصارها الباهر وكفاحها المجيد فى جبين التاريخ ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ؟

محمد رجب البيومى
المدرس بكلية تجيز الثانوية الأميرية
ومن علماء الأزهر الشريف

مكتبتنا العربية

الى طلاب الأزهر الشريف

يا طلاب الأزهر . يا طلاب أقدم جامعة إسلامية ، بل أقدم جامعة علمية عرفتها الدنيا ، وعاصرت الزمان ألف سنة أو تزيد ، وهى قائمة على حمل رسالة الإسلام وفهمها حق الفهم ، ونشرها فى أقطار الأرض ، وقائمة على العناية الفائقة بعلوم الشريعة وحفظها من الذهاب ، وعلى حياطة لغة القرآن وعلومها المتشعبة بسياج منيع ضد الرطانة والاستعجام ، فلولا جامعتكم لما اتصل حاضرنا بماضينا ، ولانقطعت صلة الخلف بالسلف ، ولما حفظت هذه الذخيرة الباقية من المعارف الإسلامية ، وهذه الثروة الطائلة من الكتب التى لا يحصيها العد ، ولا يأتى عليها السرد .

يا طلاب اليوم ، ويا علماء المستقبل ، لا تظنوا أن مهمة معهدكم العتيق تخريج علماء يوكل إليهم تدريس علوم الشريعة واللغة العربية ، ويتولون وظائف القضاء والفتيا والوعظ والإرشاد فحسب ، لئن ظننتم ذلك لقد تجنيتم على معهدكم ، وفررتم من المهمة الملقاة على أعناقكم فى يومكم وفى غدكم ، ووضعتم أنفسكم دون ما يريده الله ورسوله منكم . إن مهمتكم أجل من ذلك وأسمى ، وهى حمل رسالة الإسلام وفهمها كما وردت فى كتاب الله وفى سنة رسوله ﷺ ، وكما فهمها السلف الصالح وأئمة الإسلام ، وتخليصها مما عسى أن يكون قد علق بها من البدع والشوائب ، والدخيل والغرائب ، وإظهارها فى صورتها الحقيقية سافرة مجلوة لا تعقيد فيها ولا غموض ، ثم تبليغها إلى الناس كافة ، وبذلك تأخذ طريقها إلى القلوب والعقول ، وتقع من النفوس المتعطشة إلى الهداية موقع الماء من ذى الغلة الصادى .

إنكم يا أبناء الأزهر - بما استودعتم من كتاب الله وسنة رسوله ، وبما لكم من ثقافة واسعة تتعلق بالإسلام وبلغة القرآن - أحق الناس بفهم رسالة الإسلام على وجهها الصحيح ، وأحق الناس بتبليغها ، وإلا فما قمتم بالرسالة ، ولا أديتم الأمانة .

مكتبتنا العربية

يا طلاب اليوم، ويا علماء المستقبل، لقد رفع الإسلام من شأنكم، ووضعكم الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ موضعا كريما تغبطون عليه حيث قال: «العلماء ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر [١]» وورثة الأنبياء شرف دونه أى شرف، ومنزلة لا تنال بالأمانى، وإنما تنال بالمهر الغالى، وهو أن تملأوا الكون هدى وعرفانا، وحقا ويقينا، وأمنا وإيمانا، وسلاما وإسلاما، وفضائل وآدابا، وأن تكونوا مثلا صالحة صادقة للإسلام وعقائد الإسلام وآداب الإسلام، فى خاصة أنفسكم وفى أهليكم، وبين جيرانكم ومع مواطنيكم، وبذلك تكونون دعاة إلى الإسلام بقولكم وفعلكم وسمتكم، وتستحقون من الله المثوبة، ومن المواطنين التجلة والتقدير والإكبار.

إن الداعى إلى الإسلام لا بد أن يأخذ نفسه بهدى الإسلام وبأدب الإسلام، وإلا لم يسمع له قول، ولم تثمر له دعوة، وكان من الذين قال الله سبحانه فيهم: «يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون؟ كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون».

لقد كان رسول الله ﷺ إذا أرسل رسولا يدعو الناس إلى الإسلام، ويعلمهم القرآن والحكمة، يوصيه بأن يكون على خلق حسن وسمت حسن، فلا عجب أن كانوا يجذبون الناس إلى الدخول فى الإسلام بأفعالهم قبل أقوالهم. روى مالك فى الموطأ عن معاذ بن جبل قال: «آخر ما أوصانى به رسول الله ﷺ حيث وضعت رجلى فى الغرز [٢] أن قال: أحسن خلقك للناس يا معاذ بن جبل» وذلك حين أرسله إلى اليمن.

* * *

يا أبناء الأزهر، إن أزهركم الشريف له مكانة مرموقة فى العالم العربى والإسلامى، بل لا أكون مبالغا إذا قلت فى العالم كله. والعالم الإسلامى يعلق عليكم آمالا كبارا، وأمانى عظيمة، ولعلكم لمستم ذلك فى تصريحات كبار المسؤولين هنا وهناك، وكبار الزائرين الوافدين من الأقطار الإسلامية، وفى الرغبات المتتالية التى تصل إلى أولى الأمر فى الأزهر، بشأن إيفاد البعوث من شبابه ورجاله، للتثقيف والتعريف بالإسلام، أو طلب الفتيا وحكم الشرع الشريف فيما يحدث لهم من مشاكل ويجد من معاملات. أما أنا فقد أحسست ذلك أيام أن كنت مبعوث الأزهر بالحجاز، وحضرت المؤتمر الأكبر — مؤتمر الحج —

---

[١] من حديث رواه أبو داود والترمذى [٢] الغرز: موضع الركاب من رحل البعير

مكتبتنا العربية

وقابلت الكثيرين من المسلمين من كل جنس ولون : فكونوا يا أبناء الأزهر عند حسن ظن المسلمين بكم ، وحققوا الآمال التى يعلقونها عليكم ، وحافظوا على هذه المكانة السامية التى هى وليدة القرون ، وعلى هذا المجد التليد الذى هو من صنع أسلافكم الأولين المكافحين .

* * *

يا أبناء الأزهر ، إن هذه المكانة التى حظى بها الأزهر فى العالم الإسلامى كله تقتضى منكم التفانى والإخلاص فى العمل للإسلام والمسلمين ، والإخلاص للعلم الذى وقفتم حياتكم عليه ، والحرص على أن تحظوا بثقافة واسعة شاملة لعلوم الشريعة والعربية وغيرها من العلوم النافعة المفيدة ، و « الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها » [1] و « خذ الحكمة ولا يضرك من أى وعاء خرجت » [2] .

إن طالب العلم الأزهرى فى حاجة إلى أن يلم من العلوم العصرية بما استطاع ، ولا سيما ما يعينه على أن يدافع عن دينه ، وأن يظهر محاسنه ، وأن يكون على علم بالمعارف الإنسانية والتيارات الفكرية واتجاهاتها ، وأن يتناول ما جد فى العالم وما سيجد من مذاهب ومشاكل ، بعقل واع مستنير منقب ، فيدقق ويحقق ويحلل ويوازن ، حتى يصل إلى الحق والصواب ، وبذلك يمكن للأزهر أن يشارك فى معترك المعارف الإنسانية العامة .

إنكم - يا شباب الأزهر - محاسبون أمام الله على شبابكم : أضيعتموه ، أم حفظتموه ؟ ويحسبكم أن تعلموا أن علماء الإسلام وأئمته الأعلام ضربوا فى المعرفة والحرص على العلم والإنتاج مثلا عليا لا تزال تذكرها لهم الدنيا بالإكبار والإعظام . ومما يذكر عن أبى الوليد بن رشد الفقيه الحكيم أنه لم يترك القراءة طيلة حياته إلا ليلة بنى بامرأته ، وليلة ماتت والدته . والإمام السيوطى ترك من المؤلفات المتكاثرة ما يبلغ نحوا من ستمائة كتاب ، منها الموسوعات التى تقع فى مجلدات كبار . وغير هذين جم كثير حفل بهم تاريخ الإسلام ، فما أشد احتياجكم - يا أبناء الأزهر - إلى السهر والجد والتعب والتفرغ للعلم ، وقديما قيل : « العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك ، فإذا أعطيته كلك فأنت من إعطائه إياك بعضه على خطر » فما بالك - أيها الطالب - إذا لم تعطه كلك ولا بعضك ؟

---

(١) رواه الترمذى مرفوعا وقال : غريب .

(٢) رواه الديلمى بلا سند عن ابن عمر مرفوعا ، ويروى نحوه من قول على رضى الله عنهم .

مكتبتنا العربية

ياطلاب اليوم، وياعلماء المستقبل، إن فى الثروة الطائلة من الكتب الإسلامية التى خلفها لكم أسلافكم الأماثل كنوزاً وذخائر، ولكنها فى حاجة إلى طول صبر وأناة وتبصر وتروٍ، حتى تنتفعوا بما فيها من الكنوز والذخائر، لتتمكنوا من تنظيمها، وتحسنوا عرضها، فأفسحوا لها صدوركم، وأطيلوا لها أنفاسكم، وستخرجون منها بما يرضى عقولكم، وينير قلوبكم، ويشبع نهمكم. ولكم بعد أن تستخرجوا هذه الكنوز أن تضفوا عليها من صنعكم ماشئتم من تهذيب وتحسين، حتى تظهر فى ثوب قشيب يأخذ بالأبصار والقلوب.

* * *

ولا يفوتنى - يا أبنائى الطلاب - وأنا فى مقام الناصح الشفيق، أن أحذركم من نغمة مستهجنة، وهى الحط من شأن الكتب القديمة، والإزراء بها ووصمها «بالكتب الصفراء»، ولا أحب أن أقول لكم: إن هذا النبز دسيسة استعمارية، ولوثة سرت إلينا من أعداء الإسلام، يراد من ورائها التعفية على الآثار القيمة لعلمائنا الأوائل، ومحو هذه الصحائف المشرقة من مجد الإسلام الغابر. وأقل مايقال فى هذه النغمة أنها تدل على الضحالة والعناية بالقشور والمظاهر، وهذا ما لا أرضاه لطالب مسلم فضلا عن أزهرى، وليس كل أصفر بغث، ولا كل أبيض بسمين، وفى الكتب الصفراء سمين كثير، كما أن فى الكتب البيضاء غثا كثيرا، وفى الكتب القديمة ما لو كتب بماء الذهب لكان قليلا عليه، فلنتخير من الكتب القديمة أصلها وأقربها إلى روح الإسلام، وأعذبها وأسلسها وأبعدها من التعقيد. وباب العلم والإنتاج لم يغلق، فلنضف إلى هذه الثروة التى ورثناها ثروة أخرى من إنتاجنا وبحثنا، ونصبغها بالصبغة التى تواثم روح العصر وثقافته، وبذلك نكون قد جمعنا بين الحسنيين، واستفدنا بخيرى القديم والحديث.

يابنى الأزهر، إن وطنكم: مصر والوطن الإسلامى الأكبر، ينشدان منكم التوجيه الدينى والروحى والعلمى والخلقى، ويربان فيكم الأطباء المهرة لعلاج القلوب وطب النفوس، فكونوا محط الآمال والرجاء، وابذلوا الكثير من جهدكم وعلمكم، حتى تزول الأحقاد والشرور، ويسود الوطن الخير والمحبة والأمن والسلام؟

محمد محمد أبو شهبة

الأستاذ بكلية أصول الدين

مكتبتنا العربية

أعلام الاسلام :

كعب بن زهـــــير

كعب بن زهير ، هو الصحابي الوقور ، أحد شعراء سيد الأنبياء عليه الصلاة والسلام ، وهو من قبيلة مزينة ، إحدى القبائل المضرية .

ولد كعب وتربى بين أحضان أسرة لها أوثق العرى ، وأمتن الصلات بالشعر ، فنشأ شاعرا نابها ، تسمع شعره فتأخذك النشوة ، وتلهبك الحماسة ، وتتعظ منه الألباب ، وتظفر بالحكمة .

فمن أبي سلمى والد زهير ، إلى بشامة بن الغدير خال زهير ، إلى أوس بن حجر زوج أم زهير ، إلى زهير نفسه ، إلى أختيه سلمى والخنساء ، إلى ابنيه كعب وبجير . حلقة شعرية مفرغة ، لم تنقطع هذه الحلقة بكعب الشاعر ، بل تجاوزته إلى ابنه عقبة المعروف بالمضرب ، فإلى حفيده العوام ، فإلى ابن حفيده بشير .

في تلك الدوحة الفارعة ، وفي تلك الزهرة الباسقة اليانعة ، شب كعب ونما ساقه ، واخضر عوده ، وترعرع غصنه ، وزكا فرعه . فسمع الشعر طفلا ، وأنشده ناشئا ، وأجاده يافعا ، وكان عمر رضي الله عنه لا يقدم على أبيه زهير أحدا . ويقول :

أشعر الناس الذي يقول (ومن) ، يشير إلى قوله في معلقته المشهورة :

ومن لم يصانع في أمور كثيرة ... يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله ... على قومه يستغن عنه ويذمم
ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ... وإن يرق أسباب السماء بسلم
ومن يغترب يحسب عدوا صديقه ... ومن لا يكرم نفسه لا يكرم
ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه ... يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ... فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

كان زهير ينهر ابنه كعبا لاشتغاله بالشعر في حداثته ، بل منذ نعومة أظفاره . كان

مكتبتنا العربية

يترنم إذا سمع الشعر خشية أن يقول ما لا خير فيه فيروى عنه ، فتوصم القبيلة بالعار والشنار ، وسيما الدناءة أبد الدهر ، فلم يستجب لنـــداء أبيه ، بل صم وفر واستكبر استكبارا ، فأوقع به الإيذاء فلم يرتدع ، ونصب له الشباك والشراك ، وأحكم له الحيل ليثنيه عن عزيمته فلم يفلح ، فلم يجد أمام هذا التصميم إلا أن يختبره اختبارا يشف له عن بديهته ، ويظهر له مكنون أريحيته ، فجاز الامتحان بتفوق وامتياز ، وكان فى مقدمة الشعراء المجيدين ، والنابهين البارزين ، وقال من الشعر على البديهة ما يثلج صدر والده ، وتقر به عينه ، ويطمئن به فؤاده ، فأجازه له ، وأذن له فيه ، وسمح له بنشره وإذاعته ، فسار على الدرب حتى وصل المكانة المرموقة ، وما زال يصعد على معارج النبوغ حتى أصبح زهرة الشعراء ، وفى الطبقة الأولى من السادة الحكماء ، وأضحى من فحول هذا العصر المزدهر ، وأصبحت قبيلته محط الأنظار ، مرموقة فى كل مكان ، مشارا إليها بالبنان ، فقد أعلى قدرها على عكس ما كان يتخوفه والده ، ولكنها القريحة والموهبة التى وهبها الله تعالى كعبا ، فتربع بها على أريكة العز الخالد ، والمجد الباذخ التالد ، والقول الذى لا يقبل الجدل ، ولا يعرف الشك ، ولا يتطرق إليه الارتياب .

* * *

وسمع كعب وقومه بالرسول صلوات الله وسلامه عليه قبل السنة السابعة من الهجرة ، حتى إذا ما حلق فى الفضاء ، وذاع صيته ، وارتفع شأنه ، وانتشر لواؤه ، رغب كعب فى أن يعرف شيئا أبلج عن ذلك ، وفى هذا المقام روايات : فبعضهم يقول : إن زهيرا رأى فى منامه آتيا أتاه ، فحمله إلى السماء حتى كاد يمسها بيده ، ثم تركه فهوى إلى الأرض ، فلما احتضر قص رؤياه على ولده ، وقال : لا أشك أنه كائن من خبر السماء بعدى شىء ، فإن كان فتمسكوا به ، وسارعوا إليه .

وبعض الرواة المؤرخين اكتفى بذكر حادث إسلام كعب وبجير أخيه فى قصة طويلة ، كابن هشام فى شرحه للامية كعب المشهورة .

وإليك القصة كما وردت ورويت :

كان من خبر قول كعب رضى الله عنه هذه القصيدة (بانت سعاد) فيما روى محمد ابن اسحاق ، وعبد الملك بن هشام ، وأبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنبارى ، وأبو البركات

مكتبتنا العربية

عبد الرحمن بن محمد الأنبارى ، أن كعبا وبجيرا ابنى زهير خرجا إلى (أبرق الغراف) — وأبرق الغراف هذا هو ماء لبنى أسد فى طريق القاصد إلى المدينة من جهة البصرة — فى غنمهما ، وكان الحديث قد جرهما دون شك إلى ذكر النبى الجديد ، وما قام به من دعوة إلى الله . ولا غرابة ، فقد كانت تلك الدعوة حديث الأعراب إذ ذاك فى مكة والمدينة وما بينهما ، فمن موافق ، ومن مخالف ، ومن منتظر لاينبس ببنت شفة . فقال بجير لكعب : اثبت فى الغنم حتى آتى هذا الرجل — يعنى الرسول صلوات الله وسلامه عليه — فأسمع كلامه . ثم آمن به ، وكان ذلك قبيل السنة السابعة للهجرة على القول الراجح ، لأنه حضر وقعة خيبر ، وقد كان المسير إليها فى شهر المحرم من السنة السابعة ، وقد شهد بجير بن زهير فتح مكة ، ويوم حنين ، وغزوة الطائف فى السنة الثامنة ، وله فى تلك المعارك أبيات وأبيات أوردها ابن هشام صاحب السيرة المشهور .

* * *

أما كعب فلما بلغه إسلام أخيه بجير غضب عليه وحنق ، وثارت ثائرته على الدين الجديد ، وأخذ يهجو أخاه بجيرا ويذمه ويشنع به أفظع تشنيع ، بل هجا الرسول عليه الصلاة والسلام فتوعده النبى صلى الله عليه وسلم وأهدر دمه ، فحذره بجير أخوه العاقبة ، إلا أن يجىء إلى النبى تائبا مسلما ، بعد أن عرض عليه محاسن الإسلام ، الدين الحق الخالص ، الذى يدعو إلى عبادة الله وحده ، ويأمر بالصدق وحسن الخلق ، وإكرام الضيف ، وحسن الجوار ، ويحث على المكارم والفضائل ، ويحارب الرذائل ، ويجبّ ما قبله . فدين مثل هذا يجب اعتناقه ، وفداء رسوله بالمهج والأرواح ، وأخبره بجير بأن الرسول يقبل من أتاه تائبا ، (إن يتهوا يغفر لهم ما قد سلف) .

وعند ما سمع كعب قول أخيه بجير أخذ يفد على القبائل يناشدهم أن يجيروه فلم يجره أحد ، وأعاد الكرة مرات ومرات يناشدهم الرحم والحسب والنسب والجوار فلم يجبه أحد ، وأرجف الناس أنه مقتول لا محالة ، وأخذ يتبرأ منه كل صديق ورفيق ، وكثر الوشاة المتوعدون .

تسعى الوشاة جنابيها وقولهم ... إنك يا ابن أبى سلمى لمقتول
وقال كل خليل كنت آمله ... لا ألهينك إنى عنك مشغول

مكتبتنا العربية

حتى إذا ضاقت به الأرض ، عاد إلى نفسه وفكر فى هذا الأمر ، فهداه الله إلى الحق واطمأنت إليه نفسه ، فأعد قصيدته المشهورة فى مدح الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم ؛ وأتى المدينة وهو يعلم أنه مهدر الدم .

فقلت خلوا سبيلى لا أبالكم فكل ما قدر الرحمن مفعول
كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوما على آلة حدباء محمول

فلما قدم المدينة نزل مستخفيا على رجل من جهينة كان بينه وبينه معرفة ، فأتى به إلى المسجد ، ثم أشار إلى رسول الله ﷺ فقال : هذا رسول الله ، فقم إليه فاستأمنه ، وعرف كعب رسول الله ﷺ بالصفة التى وصفه بها الناس .

وكان مجلس رسول الله من أصحابه مثل موضع المائدة من القوم ، يتحلقون حوله حلقة ثم حلقة ، فيقبل على هؤلاء فيحدثهم ، ثم يقبل على هؤلاء فيحدثهم ، فقام له كعب حتى جلس بين يديه ، فوضع يده فى يده ثم قال : يا رسول الله . إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائبا مسلما ، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به ؟ قال : نعم . قال : أنا - يارسول الله - كعب بن زهير ، فتجم الأنصار إذ عرفوا كعبا ، وتواثبوا يريدون قتله صائحين : « يا رسول الله ائذن لنا فيه » . فمنعهم النبى عنه وقال : « وكيف وقد أتانى مسلما » .

ثم أخذ كعب ينشد الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - قصيدته فى المسجد ، وكان ذلك فى السنة التاسعة للهجرة ، فرضى رسول الله عليه صلوات الله وسلامه ، وخلع عليه بردته .

* * *

وقصيدة (بانت سعاد) التى مدح الرسول فيها لامية ، وعدد أبياتها ٥٨ ، وسلك فيها كعب مسلكا عجيبا على الطريقة الجاهلية القديمة ، فجعل مطلعها الغزل ، فذكر سعادا ووصفها وإخلافها الوعد فى اعتذاره للنبى عليه الصلاة والسلام ، ثم أجاد فى مدحه ، ثم ختم قصيدته العصماء بمدح المهاجرين من قريش . ومن أبياتها قوله فى مدح الرسول ﷺ :

نبئت أن رسول الله أوعدنى والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذى أعطاك نافلة الـ قرآن فيه مواعيظ وتفصيل

مكتبتنا العربية

إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

ومن قوله فى غير قصيدة (بانت سعاد) مادحا الأنصار ذاكرا بلاءهم مع الرسول :

من سره كرم الحياة فلا يزل فى معشب من صالحى الأنصار
البـاذلين نفوسهم لنبيهم يوم الهياج وسطوة الجبار
يتطهرون كأنه نسك لهم بدماء من علقوا من الكفار

ومن شعره أيضا :

فالسامع الذم شريك له ومطعم المأكول كالآكل
مقالة السوء إلى أهلها أسرع من منحدر سائل
ومن دعا الناس إلى ذمه ذمـــوه بالحق وبالباطل

أما الحديث عن البردة التى خلعها عليه الرسول عليه الصلاة والسلام إعجابا به ، فأصدق بيان عنها ما قاله العلامة أحمد تيمور بعد بحثه العميق : « إن الرأى السديد الراجح أن هذه البردة هى البردة الكعبية التى اشتراها معاوية رضى الله عنه ، ثم حفظت عند بنى أمية حتى ورثها منهم العباسيون » ؟

عبد المطلب صلوح
الواعظ بوزارة الأوقاف

الظاهر والباطن

إنما الظاهر والباطن كالموج والساحل : فإذا جن الموج فلن يضيره ما بقى الساحل ركينا هادئا مشدودا بأعضاده فى طبقات الأرض .

أما إذا ماج الساحل ... فذلك أسلوب آخر غير أساليب البحار والأعاصير . ولا جرم أن لا يكون إلا خسفا بالأرض والماء وما يتصل بهما .

مصطفى صادق الرافعى

مكتبتنا العربية

الفتاوى

— ١ —

جاء إلى لجنة الفتوى بالجامع الأزهر ما يلى :

اشتريت منزلا ويشغل أحد المحلات فيه رجل شامى يشغله حانة لتقديم الخمر للناس ، وتحدثت مع أحد المحامين بخصوص إنذاره بإخلاء العين ، فعرفنى بأنه لا يمكن مادام يقوم بدفع الإيجار ، ولديه رخصة بذلك ، ولم أستلم منه إيجار المحل حيث أننى حصلت على المنزل منذ مدة قريبة وكان يملكه قبل ذلك أشخاص أجانب ، لذلك تجدنى فى حيرة حيث أننى أعلم بأننى إذا تسلمت منه أى إيجار فهو بلا شك ثمن خمر قدم للناس .

فنرجو الإفادة .

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد — فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأنه إذا لم يتيسر للسائل إخراج المستأجر الذى جعل المكان حانة لبيع الخمر ، جاز لهذا السائل قبض أجرة المكان منه عن المدة التى انتفع فيها أو ينتفع فيها بالمكان . ثم إن كان هذا المستأجر غير مسلم جاز للمؤجر أخذ الأجرة ، ولو علم أنها من ثمن الخمر . أما إذا كان المستأجر مسلماً كره للمؤجر استيفاء الأجرة من ثمن الخمر . وإذا لم يعلم أن ما يقبضه أجرة هو من ثمن الخمر لم يكره له ذلك ، كما يعلم هذا التفصيل بالرجوع إلى كتاب المحيط البرهانى فى مذهب الحنفية فى الفصل الثانى والثلاثين من كتاب الكراهية ، فقد جاء فيه ما نصه . « قال محمد فى الجامع الصغير : مسلم باع خمراً وأخذ ثمنه وعلى بائع الخمر دين لرجل كره لصاحب الدين أن يقتضى دينه من ذلك . وإن كان البائع نصرانياً فلا بأس » .

مكتبتنا العربية

والوجه فى ذلك أن الخمر ليس بمتقوم فى حق المسلم ، فلم يجز بيعه ، ولم يملك ثمنها ، لا بالعقد ولا بالقبض . بل بقى الثمن على ملك مشترى الخمر ، فإذا أخذ صاحب الدين ذلك فقد أخذ ملك المشترى بغير إذن فلا يجوز ، والخمر متقوم فى حق الذمى ، فجاز بيعه ، وملك ثمنها ، فلو أخذ صاحب الدين ذلك ، فقد أخذ ملك البائع بإذنه فيجوز ، اه .

وبما ذكرنا علم الجواب عن السؤال إذا كان الحال كما ذكر به . والله أعلم .

— ٢ —

جرت عادة بلاد بالسودان — دنقلا — أن يقيموا على رأس الخامس عشر من يوم الوفاة أو العشرين وليمة يدعى إليها حفظة القرآن وأهل البلد جميعاً ، ويسمونه بالصدقة ، ويكون غالب مظهره التبذير من مال الميت ، ولو كان بأبنائه الصغار اليتامى إجحاف . فهل لهذا أصل فى الدين ، أوله من سنة الرسول ما يؤيده ؟ . نرجو الإفادة .

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ـ فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأن هذا العمل بدعة مستحدثة لا سند لها من كتاب أو سنة ، فيجب ردها والابتعاد عنها . وأخذ شىء من أموال القصر لإقامتها حرام ، وفيه إثم زيادة عن إثم إقامة هذه البدعة . نعم إذا أراد من ليس محجورا عليه من ورثة المتوفى لصغر أو غيره أن يتصدق عنه من نصيبه الخاص ، فله ذلك من غير تقيد بيوم معين أو مكان معين . وبهذا علم الجواب عن السؤال . والله أعلم .

— ٣ —

أبرأته من مؤخر صداقها وهو معلوم ومن نفقة عدتها والنفقة مقدارها مجهول ، فطلقها طلقة واحدة فى نظير ذلك . ثم قال لها بعد ذلك : طلقتك بالثلاثة بالمجلس بسبب مطالبة والد الزوجة بذلك . فهل تقع الطلقة الأولى فى نظير العوض مع كون بعضه وهو النفقة مجهولا ، وإذا وقعت فهل تبين منه . وإذا بانت فهل يلحقها الطلاق الثلاث ؟ .

مكتبتنا العربية

الجواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ـ فقد اطلعت اللجنة على هذا السؤال ، وتفيد بأنه قد أجاز الحنفية والمالكية والحنابلة البراءة من مؤخر الصداق ونفقة العدة وإن كان مقدار النفقة مجهولا ، لأن البراءة لا تقتضى أن يكون المبرأ منه معلوما ، لأنها من قبيل الإسقاط الذى لا يقتضى تسليما ولا تسلما . هذا وعند الحنفية أن الطلاق الثلاث المذكور يلحق الطلاق البائن الأول . وعلى ما جرى عليه القانون من أن الطلاق المقترن بعدد الثلاث لا يقع إلا واحدة ، يقع على هذا الحالف بالصيغة الأخيرة طلقة واحدة أخرى ، فإذا لم تكن هذه الطلقة الأخيرة مكملة للثلاث ، كان له أن يعقد عليها .

وفى مذهب الإمام مالك والإمام احمد لا يقع بالصيغة الأخيرة طلاق ، لأن الزوجة قد صارت بالطلاق على البراءة بائنة من زوجها ، والطلاق البائن يخرج المرأة عن أن تكون محلا للطلاق ، وعلى هذا لا يقع بقوله أخيرا : « طلقتك بالثلاثة ، طلاق » .

وهذا المذهب الاخير أرفق وأيسر ، وبه تفتى اللجنة . والله أعلم ؟

رئيس لجنة الفتوى

كيف كان ينظم شوقى قصائده ؟

سئل شوقى : كيف تنظم الشعر ، وكيف تشرع فى تأليف القصيدة ، فأجاب :

أول ما يخطر لى ـ حينما أفكر فى قرض الشعر ـ أن أجمع النقط المهمة التى أرمى إليها من القصيدة . فإذا انتظم لى هيكلها من هذه الناحية ، اخترت لكل قصيدة رويها وبحرها اللذين توحى إلىّ أذنى ونفسى أنهما ينهضان بالموضوع .

وأعظم ما أكون ارتياحا إلى قول الشعر بعد منتصف الليل ، إذ يجد الخيال مسرحا متسعا فى هدوء الليل وسكونه . لكن ذلك لا يمنعنى أن أقول الشعر إذا جاش به صدرى فى كل وقت وكل مكان ، لا يشغلنى عنه شاغل حتى فى المجالس والمحافل .

مكتبتنا العربية

ركن الطلبة :

سيادة العالم للعاملين

العمل هو الطريق الوحيد المؤدى إلى النجاح الذى يطمح إليه كل إنسان فى الوجود ، وهو أساس المجد ودستور الحياة وباب الزعامة . العمل هو الحياة ، ولا معنى للحياة بدون عمل . . .

ونظرة واحدة إلى الدول الكبرى التى تتصرف اليوم فى رقاب العالم ولا ندرى أتسوقه إلى حرب أم تجعله يعيش فى سلام ؟ نظرة واحدة إلى أمريكا وانجلترا وروسيا تلك الدول التى تحكم العالم وتسيره حيث تشاء ، نظرة إلى هذا العالم الغربى ومجده ، نجد أنه ما نال العظمة والمجد والسيادة ، وما وصل إلى الرفعة والنهضة إلا بالعمل ، فمن تلك البلاد نشأ المفكرون ووجد العاملون وحكم الحاكمون ، وأصبحت أمما ذات سيادة ، وما لنا نذهب بعيدا ودينا الإسلام دين عمل وجهاد ، يأمرنا بالكدح والعمل ، وينهانا عن الخمول والكسل . إن العمل فى الإسلام شىء عظيم ، وقد حث عليه الله سبحانه وتعالى ، ومدح العاملين على عملهم ، فقال جل وعلا : « إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا » وقال تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » وقال سبحانه : « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » وفى آيات كثيرة نجد الله جلت قدرته يبين لنا قيمة العمل وجزاء العاملين . وفى سورة العصر حكم سبحانه على الإنسانية كلها بالخسران ، واستثنى منها الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر !!

* * *

والرسول صلوات الله وسلامه عليه جاهد فى سبيل الله وكافح للحق والخير ، حتى وصل إلى أرقى ما يصل إليه إنسان ، فأدى رسالته الإلهية على أكمل الوجوه وأتمها . وكان دائما

مكتبتنا العربية

يقول لأهله : « يا فاطم بنت محمد لا أغنى عنك من الله شيئاً . يا عباس عم محمد لا أغنى عنك من الله شيئا . لا يأتينى الناس بأعمالهم وتأتونى بأحسابكم » ، ومن هنا نرى أن ميزان الحياة عنده عليه الصلاة والسلام كان العمل لا الجاه أو الحسب . وأبو بكر رضى الله عنه كان تاجرا ، وعندما ولى الخلافة وبعد أن انتهى من تنظيم الدولة ، خرج ليتجر فاعترضه الناس قائلين له : كيف تخرج لتجارتك وأنت خليفة المسلمين . فقال لهم رضى الله عنه : « وكيف أعيش وهذه صناعتى ؟ » ، فرضوا له أقل ما يكفى مثله من الزاهدين .

وعمر بطل الإسلام كان يعمل دائما ، ويتفقد رعيته ليلا ونهارا ، ويكافح فى سبيل إعلاء شأن الإسلام ورفعة المسلمين ، وكان يقول لأصحابه : « أرى الرجل فيعجبنى ، فإذا قيل : لا صناعة له سقط من عينى » ، وكان يردد كلمته المأثورة : « إذا أراد الله بقوم سوءا منحهم الجدل ومنعهم العمل » !!

* * *

هذا هو الإسلام الصحيح : عمل وكفاح وجهاد وتضحية ، والعالم العربى الذى يتطلع إلى العالم الغربى فى ألم وحسرة ، وينظر إليه خائفا قلقا ، ما أجدره أن يتمسك بالعمل ، حتى ينال السيادة وقيادة الأمم ، وحتى يرجع لأبنائه ماهم من ماض زاخر بكل معانى القوة والشجاعة ، فالعمل وحده هو الذى جعل المسلمين القدماء تخلد أسماؤهم ويذكرون بالإعجاب والتقدير ، وهو أيضا الذى رفع بلاد الغرب من الحضيض إلى القمة ، ودفعها إلى المجد ، وجعلها تحتل الشرق ، وتسخر أبناءه فى سبيل مصالحها الخاصة .

أيها العرب ، اعملوا وأنتجوا ، فبذلك تحققون الغاية من وجودكم ، ولتعلموا أن الإنسان العامل المنتصب على ساقه يكافح ويجاهد أكثر ارتفاعاً ورفعة من السيد الراكع على قدميه !!. أيها الشباب : كن دائماً مشغولا بأى نوع من العمل ، فنشاط الشيطان لا يبلغ قمته إلا فى لحظات الكسل والفراغ وأوقات الضيق والملل ، وثق « أن المآرب اليسيرة لا تسمى طموحاً ، ولكن الطموح هو الغايات الشاقة البعيدة ، فناضل وأنت فى الظلمة ، وحارب وأنت ملق على الأرض ، فإنك لن تموت أبداً ، والله مع العاملين » ؟

موسى صالح شرف
بكلية اللغة العربية

مكتبتنا العربية

البارودى : الشاعر البطل

فى ١٢ ديسمبر [١] ، ينصرم نصف قرن على رحيل هذا الفارس البليغ الذى نهض بالقريض من كبوته ، ونفخ فيه روح التجديد ، وهو الفارس الذى أبلى فى معارك السياسة والحروب ، فكان له صوت مرفوع ، وحسام مسلول .

وقد رأيت أن أشارك فى تحيته والإشادة بذكراه ، بهذه الكلمة على صفحات «مجلة الأزهر» .

البارودى ونشأته : انحدر البارودى من أسرة كريمة المنبت والنسب ، وقد خرج إلى نور الوجود فى سنة ١٢٥٥ (١٨٣٨) وكان أبوه إذ ذاك مديراً لبربر ودنقلة ، وسارت الأيام بالطفل الوليد ، وهو يحبو بين أزاهير الرفاهية والخفض ، ولكنه فقد أباه ولما يبلغ الثامنة من عمره ، ففقد بموته حياة الدعة والحنان ، وقد كفله أقاربه حتى شارف الثالثة عشرة من عمره ، فأدخلوه المدرسة الحربية ، وقد تخرج منها ضابطاً وهو فى السادسة عشرة ، ثم أخذ نجمه يسطع ومركزه يتطور إذ خاض المعارك فى حرب الروس مع الترك ، وأبدى من البسالة ما بهر القواد ، ثم تقلب فى المناصب الإدارية فالسياسية حتى بدت طلائع الثورة العرابية ، فاندفع مع الثائرين بحزم وعزم ، وفى نفسه آمال ضخمة لا تحملها إلا الأنفس الكبيرة والأفئدة الوثابة ، فولى رئاسة الوزارة فى أحرج الأوقات ، ثم اندلعت النار فأتت على الثورة فى مهدها ، لأن الخونة قد طعنوها من الخلف ، فقبضت القوة الدخيلة على زعماء الثورة ، وكان البارودى من بينهم ، ونفتهم إلى جزيرة « سرنديب » فلبث فى منفاه سبعة عشر عاماً ، ذاق فيها مرارة الأسى والألم والحرمان حتى كف بصره ، فسمح له المستعمر الغاشم بالعودة إلى وطنه الحبيب فنزله فى عام ١٩٠٠ ، ولم يمض على عودته أربعة أعوام حتى لفظ آخر أنفاسه ، فقضى رحمه الله سنة ١٣٢٢ (١٩٠٤) .

* * *

هذا مجمل يسير لحياة هذا البطل الفارس الشاعر المجدد الذى حمل راية الشعر ، وألويته منكسرة وأعلامه مخفوضة ، فكساه حلة قشيبة ، وبعثه من رموس التقليد والغثاثة ، وطهره

---

(١) توفى البارودى فى ٤ شوال سنة ١٣٢٢ هـ (١٢ ديسمبر ١٩٠٤) .

مكتبتنا العربية

من أرجاس التزلف والمدح ، ونفى عنه روح الجمود بعد الإقفار المديد فى دنيا الأدب والقريض ، ذلك أن الشعر العربى بعد انهيار الدولة العباسية وغارة المغول على الشرق وقضائهم على لغة القرآن وأدب العرب ، أصابه اضمحلال وخمول ، وكساد وانحطاط ، فاهتم الشعراء بعد ذلك بالقوالب اللفظية ، يوشونها بالزخارف البيانية ، وصار الخيال معدوما فى جملته ، وما جاء منه فسطحى لا يؤثر فى النفس ، ولا يحلق فى أجواء الفكر ، واتخذه الشعراء وسيلة إلى الحكام ، وزاق رجاء أن ينالوا بها منهم عطفا وعطاء ، فماتت فيه روح العزة ، وتخلى عن ميدان الشعب فى ذوده عن حريته وكرامته ، رغم ما ساد هذه الآماد من فساد الولاة واستبدادهم ، وازدادت بليته عند ما اختلط الشرق بالغرب ، وسرت لوثة العجمة حتى إلى ألسنة الشعراء .

وهكذا تدهور الشعر وانحدر من مكانته ، حتى لقد ذهب الدكتور هيكل فى مقدمته لديوان البارودى « جزء أول سنة ١٩٤٢ » إلى أن الشعر مكث حوالى عشرة قرون وهو مهلهل الأسلوب ، مفكك العبارة ، سطحى المعنى ، محدود الأغراض ، إلى أن ظهر البارودى . وقد اتفقت كلمة النقاد المحدثين على أنه الصوت المدوى فى عالم الشعر الحديث ، وأنه هو الذى خرج به إلى الحياة . ولكن كيف تسنم البارودى منزلة الزعامة فى نهضة الشعر العربى الحديث ، مع أنه لم يزاول دراسة العربية ، ولم يتمكن من فن العروض وقواعد النحو ؟ نفهم أنه أكب فى يفاعته على تراث الأقدمين من الشعراء ، يستظهر ما يحوز إعجابه ، وينفذ إلى نفسه ، ويتغلغل فى وجدانه ، وما زال كذلك حتى تكونت ملكته واتسع خياله ، وعندئذ تحركت فيه رغبة النظم ، فأطلق لها العنان ، فصالت فى كل ميدان ، وأخذ يجارى الفحول السابقين ، ويتشبه بهم ويعارضهم ، ويحاول أن يبزهم ، وكان لغزارة محفوظه أثر بادٍ فى قريضه ، وكانت حافظته المختزنة تمده بلا قصد منه ، وقد يلتبس عليه محفوظه بمنظومه .

* * *

وأصدق وصف لشعر البارودى أنه - كما قال الدكتور هيكل - صورة صادقة لنفسيته ، وما يجيش فيها من الآمال والأمانى العذاب ، وهو فى غزله أو رثائه لا ينفك مفاخراً مظهراً عراقة نسبه ، وسمو فرعه ، وغور جذوره ، وهذه الصفة كانت له مدداً زاخراً تمده بالفيض الهاطل ، من الإقدام والمخاطرة وحب المجد وطلب الرفعة والدأب لبلوغ الآمال .

مكتبتنا العربية

وكما يعتبر شعر البارودى صورة صادقة لنفسيته ، يعتبر صورة صادقة لبيئته ، وما شاهده فيها من تبدل فى أحوالها ، واضطراب فى أمورها ، فكان ما قاله إخبارا عن هذا التاريخ المليء بطابع الحيرة والتدخل السافر من الأجنبى ، وأخذ ينادى بالإصلاح العاجل والإنقاذ السريع وتدعيم بنيان الأمة على أسس قويمة ، ومن الأخذ بالشورى وإقامة الحياة النيابية السليمة ، وهو يقول عن الشورى :

فمن استهان بها تأيد ملكه ومن استهان بأمرها لم يرشد

وكان ما كان من انتكاس الثورة ، ونفى الشاعر هذه السنوات فى الغربة والألم والشقاء والمحن ، فسجل براعه النفثات الصادقة والآلام المبرحة والآيات الباهرة على عبقريته الفنية وملكته الشعرية الفنية ، فترك لنا ديوانه الضخم دليلا على مكانته البارزة فى عالم البطولة والشعر ، وأضاف إلى ذلك مختاراته الناطقة بسلامة ذوقه وحسن اختياره ، وقوة فطنته ، وآية نبوغ الشعراء هذه العصور ومكانتهم فى نفسه .

إن شعر البارودى كان طفرة فى الشعر الحديث ، ومنهجاً حياً ترسمه المحدثون أمثال شوقى وحفنى وحافظ وغيرهم ، فأحرى به أن يكون رب السيف والقلم ، ورمز البطولة والتضحية ، وما أجمل أن نذكر ذلك لمناسبة مرور نصف قرن على وفاته . رحمه الله .

محمد الدسوقى
بالشهادة الثانوية — معهد المنصورة

****

والقارئ يكاد أن البارودى لقصره أن يرتفع عن مستوى عصره ، ويلتحق بعصور [illegible] ، فقد كان ينبغى لنا أن نربط ذكراه بذكريات خول البلاغة من [illegible] وأمثاله تاريخ وفياتهم بالسنة الهجرية ، لينفصل [illegible] سلسلة متسلسلة . وجميل من كاتب هذه الكلمة أن ينتبه [illegible] البارودى الذى توفى فى ١٢ ديسمبر سنة ١٩٠٤ ، وكان أجل [illegible] أنه توفى فى ٤ شوال سنة ١٣٢٢ فيكون إحياؤنا [illegible] سنة ١٣٧٢ ، ولعلنا نلاحظ ذلك فيما سنحاوله بعد [illegible] الإسلامية العزيزة علينا ، فنحيى مع ذكرياتها ذكرى [illegible] ونخلده أساساً فى تاريخنا القومى والملى كما كانت الحال إلى ما بعد [illegible] البارودى ومعاصريه ؟

مكتبتنا العربية

الأدب والعلوم

إشراف الأزهر
على مدارس تحفيظ القرآن

تكرر حديث هذه المجلة عن تحفيظ القرآن وضرورة إشراف الأزهر عليه لأنه الأساس فى مناهج التعليم الأزهرية ثم قلنا فى ص ٣٤٤ من هذه السنة : إن السيد وزير التربية والتعليم وافق على تأليف لجنة للنظر فى موضوع مدارس تحفيظ القرآن التى تتبع الوزارة حالياً وجعلها تابعة للأزهر . وقد عقدت هذه اللجنة عدة اجتماعات تدارست فيها الأمر ونظرت فيما يطلبه الأزهر من الموافقة على أن يوكل إليه الإشراف على هذه المدارس فى أنحاء الجمهورية المصرية .

وقد حدد المفهوم من هذه المدارس بأنه يشمل مدارس المرحلة الأولى لتحفيظ القرآن الكريم التى أنشأتها الجمعيات أو الأفراد أو وزارتا الأوقاف والشئون الاجتماعية . وتبين للجنة من كتاب مشيخة الأزهر وعما عرضه ممثلو الأزهر أن الباعث على ضم هذه المدارس إليه إنما هو الرغبة فى إعداد من يريد الالتحاق بالأزهر إعداداً خاصا ، ومن أهم مقومات هذا الإعداد حفظ القرآن الكريم وإجادته تلاوة ، وخاصة بعد ما ظهر من أن كثيراً من هذه الجمعيات - فى وضعها القائم - لم تستطع أن تنهض برسالتها على ما ينبغى ، مما حدا بالأزهر إلى أن يتقدم إلى وزارة التربية والتعليم بطلب إشرافه على تلك الجمعيات .

وبعد أن بحثت اللجنة الموضوع من جميع أطرافه انتهت إلى رأيين : أن تظل هذه المدارس فى نطاق المدارس الحرة الخاضعة لوزارة التربية والتعليم على أن تلقى رغبات الأزهر فى إعداد من يريدون الالتحاق به إعداداً خاصاً من أهم مقوماته حفظ القرآن الكريم وإجادة تلاوته ، كما تستأنس برأى الأزهر فى الخطط والمناهج لكى يتوفر له العدد اللازم من الطلاب المستجدين . والرأى الثانى هو أن تتبع هذه المدارس الأزهر الشريف على أساس أن يتخذ الأزهر الوسائل الكفيلة بتحقيق هذا الإشراف ، وأن تكون المناهج فى تلك المدارس مساوية - فى سائر المواد الأخرى - لمناهج المدارس الابتدائية . وأن تشترك وزارة التربية والتعليم فى عمل المناهج

مكتبتنا العربية

وإعداد المعلمين ، وأن يكون لها من السلطة على تلك المدارس ما يفرضه القانون رقم ٢١٠ لسنة ١٩٥٣ بشأن تنظيم التعليم الابتدائى

واقترحت اللجنة ـ فى حالة الموافقة على أحد الرأيين ـ تشكيل لجنة بقرار وزارى تمثل وزارة التربية والتعليم ومشيخة الأزهر تكون مهمتها وضع الترتيبات اللازمة لتنفيذ القرار الذى يتفق عليه .

ولما رفع تقرير اللجنة إلى السيد وزير التربية والتعليم بادر فأعلن أنه يتنازل عن حقه فى الاختيار بين الرأيين المذكورين ، وأنه يترك لفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر حرية اختيار ما يراه أقرب إلى تحقيق النفع العام . وأمر المختصين فى الوزارة أن يتصلوا بفضيلة الأستاذ الأكبر ليقفوا منه على ما يستقر عليه رأيه حتى تشرع الوزارة فى تنفيذه .

وقد رأى فضيلة الأستاذ الأكبر أن يأخذ بالرأى القائل بتبعية هذه المدارس إلى مشيخة الأزهر على أن تتولى وزارة التربية والتعليم مراقبة الدراسة فيما يتعلق بالمواد المدرسية فيما عدا القرآن الكريم وما يتصل به ، على أن تبلغ ملاحظاتها إلى مشيخة الأزهر لتعمل على استكمال وجوه الخير والنفع .

ولما بلغ هذا الرأى إلى وزير التربية والتعليم بادر سيادته بالموافقة عليه ، وأمر بإعداد قرار وزارى يقضى بإلحاق جميع المراكز الخاصة بتحفيظ القرآن الكريم فى مختلف بلاد الجمهورية وعواصمها إلى مشيخة الأزهر منذ العام الدراسى الحاضر .

صحافتنا

كتب القائمقام السيد أنور السادات يصف مرحلة الاستعداد لإصدار جريدة الجمهورية فى العام الماضى ، ومما قاله :

« وجاءت عملية ترشيح المحررين ، وكانت مأساة !

وعرفت حقيقة مخزية ، عرفت أن كل إنسان منهم يكره الآخر ، وإن لم يكن يعرفه !

المسألة كانت محنة أخلاقية تمر بها صاحبة الجلالة ! . .

ولم أكن أدرى فى تلك الأيام ، هل المسألة هى أننا نكره الخير لبعضنا ، أم المسألة أعمق من هذا .

على أى حال لقد استمعت إلى آراء كثيرة فى أناس كثيرين ، ولم تكن كلها صحيحة أو لوجه الله .

مكتبتنا العربية

مدينة الأزهر
لطلبة البعوث الإسلامية

عقد اتفاق بين الأزهر وشركة التأمين والمساكن الشعبية لإنشاء مدينة سكنية لطلبة البعوث الإسلامية، على أن تقام هذه المدينة على ٤١ وحدة سكنية تتألف كل منها من ٣ طوابق عدا الدور الأرضي.

ويحتوى الدور الأرضي على قاعة كبيرة للمطالعة، وقاعة للاجتماعات، وأخرى للألعاب الرياضية، وقاعة للاستقبال، ومطبخ كبير وخزانة لحفظ الطعام.

أما الطوابق الأخرى فيحتوى كل منها على عنبرين كبيرين يسع كل منهما عشرين سريراً، وغرفة للاستذكار.

وقد أعدت كل وحدة سكنية لسكنى ١٢٠ طالباً، وبذلك ستتسع مدينة الأزهر لسكنى ٤٩٢٠ طالبا من طلبة البعوث الإسلامية القادمين من السودان والصومال والبلاد العربية وسائر الأقطار الإسلامية لتلقى العلم بالجامعة الأزهرية.

وتضم المدينة مبنى للإدارة، وآخر للنشاط الاجتماعى، ومجموعة من المحال التجارية، وستنشأ المدينة شبكة للمجارى ورصف الطرق الداخلية بالمدينة وتنسيق المتنزهات والحدائق العامة.

وقد حدد لتنسيق هذا المشروع ٢٤ شهرا على أن تسلم المدينة قبل آخر نوفمبر سنة ١٩٥٦ وقدرت التكاليف الابتدائية بستمائة ألف جنيه

الأزهر فى جنوب السودان

تحدث فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر مع السيد الصاغ صلاح سالم وزير الإرشاد القومى ووزير الدولة لشئون السودان فى موضوع إنشاء معاهد تعليمية ثقافية فى جنوب السودان كالفاشر وجوبا والملكال. وسيتولى التدريس فى هذه المعاهد والإشراف عليها علماء من الأزهر على أن يبدأ بذلك فورا.

مؤتمر التعليم الإلزامى
للدول العربية

يعقد فى الأيام القريبة الآتية مؤتمر فى القاهرة للتعليم الإلزامى المجانى للدول العربية يستمر أسبوعين. وستشترك فيه اليونسكو وبعض الهيئات الأجنبية. وسيهتم إلى ما يتقرر فى هذا المؤتمر [illegible]

[illegible]

[illegible] بالانسطاس [illegible] الهيئة الأمريكية [illegible] الرسميين الذين يعملون فى هيئة اليونسكو والمتهمين بعدم الولاء للحكومة الأمريكية [illegible]

مكتبتنا العربية

أنباء العالم الإسلامي

الجامعة العربية

[illegible] اجتماعه [illegible] الدول العربية : إن المصالح [illegible] الحاجة [illegible] إعادة النظر فى ميثاق [illegible] ([illegible] ورق) [illegible] ([illegible]) [illegible] ميثاق [illegible] العربى دراسة عملية حتى يكون [illegible] يكتسب الثقة بين الدول العربية ، [illegible] نظام دول العالم أجمع .

[illegible] الدول العربية الشكوى [illegible] الشكوى من الجامعة العربية ، مع العلم بأن الجامعة ليست إلا انعكاساً لحالة أعضائها ، وتعيب الدول العربية .

وقال لوزراء خارجية العرب : إن مصر ترى أن اجتماعهم فى النصف الأول من يناير القادم سيكون الفرصة الأخيرة لتثبت كل دولة عربية فى اتجاهات سياساتها الخارجية المختلفة ، وإن نتائج ذلك الاجتماع — من اتفاق أو خلاف — ستعلن للشعوب العربية حتى تعرف تلك الشعوب موقف حكوماتها من مختلف المسائل الحيوية .

وقال لهم : إن من المعروف أن السياسة الخارجية للدول العربية فيها نوع من التنافر الظاهرى ، ومن الضرورى - فى ظل الأوضاع العالمية الحاضرة - أن يجرى توحيد تلك السياسة على الأساس الوحيد الذى يمكن أن تجتمع عليه الآراء ، وهو أن تقوم الجامعة العربية بدورها كاملا كمنظمة إقليمية مستقلة .

وأكد لهم أن مصر تقيم سياستها الخارجية - حتى الآن - على أساس أنها إحدى دول الجامعة العربية ، وأنها لم تخرج عن هذه السياسة ، فمن الضرورى إعادة النظر فى ميثاق الجامعة العربية لدعمه وتحويله من (حبر على ورق) إلى (ميثاق ينال الإيمان الكامل للشعوب العربية وحكوماتها) كما أنه من الضرورى تعزيز معاهدة الدفاع المشترك ، والتعاون الاقتصادى بين الدول العربية .

وشرح للوزراء العرب موقف مصر بوضوح فأكد لهم أن مصر لا تفكر فى الدخول فى أى أحلاف عسكرية ، أو دفاع مشترك . وأنها تعتمد كل الاعتماد على ميثاق الضمان الجماعى العربى ، وتريد أن يصبح هذا الميثاق حقيقة فعالة مستقلة تكسب الدول العربية

مكتبتنا العربية

احترام دول العالم أجمع ، لأن ذلك الميثاق - بوضعه الحاضر - لا يدعو إلا إلى السخرية وعدم تبادل الثقة بين الدول العربية بعضها مع بعض وبينها وبين دول العالم كلها .

عضوية الجامعة العربية

قال السيد عبد الخالق حسونة لرؤساء وفود الدول العربية : إنني لا أعترض على أية دولة ترى من مصلحتها الانسحاب من الجامعة العربية ، ولكن الوقت قد أثبت بصورة واضحة أن الخير كل الخير لكل الدول العربية فى التمسك بعضوية الجامعة ، وبذل كل مجهود فى سبيل التعاون الفعلى لتقويتها .

مشكلة فلسطين

يتقرر مصيرها بالسلاح

قال فارس الخورى رئيس وزراء سوريا فى حديث له مع مراسل التيمس بدمشق : « إن تسوية مشكلة فلسطين أمر مستحيل ما لم تعمل الأمم المتحدة ، أو الدول الغربية ، أو العرب أنفسهم على رد اليهود إلى حالة من التعقل بالقوة . وأخشى أن يتقرر مصير هذه المشكلة بالسلاح فوق تلال فلسطين .

« إن العرب لن يلجأوا إلى الاعتداء أو استعمال القوة لاسترداد حقوقهم ، ولكنهم سيعدون أنفسهم للدفاع حسب ما يقتضيه ميثاق الأمم المتحدة .

« بيد أن إسرائيل ما فتئت تقبل المهاجرين اليهود . والمفهوم أنها ستعتدى على أراض عربية جديدة ، وفى هذه الحالة ستصبح الجولة الثالثة أمراً لا مفر منه . وأشك أن العرب يعولون على الدول الغربية الثلاث ، لأنهم يرتابون فى محافظتها على العهود التى قطعتها على نفسها بمقتضى التصريح الثلاثى . مثال ذلك ما عمد إليه سفيرا بريطانيا وأمريكا من تقديم أوراق اعتمادهما إلى حكومة إسرائيل فى القدس ، فتقضت الدول الثلاث عهودها الخاصة بالمحافظة على الوضع السياسى للمدينة المقدسة . وأمامنا الوسائل التى يتذرع بها الصهيونيون مياه الأردن دون اعتبار لحقوق العرب . وإن المباحثات والمجاملات الدبلوماسية لا تجدى مع إسرائيل » .

وأكد فارس الخورى أن سوريا تتبع سياسة الحياد بين الكتلتين الشرقية والغربية ، وتسعى إلى كسب صداقة كل منهما .

وقد عقب متحدث بلسان وزارة الخارجية على تصريحات فارس الخورى فقال : إن هذا الحديث لن يخفف من حدة التوتر القائم الآن بين العرب واليهود .

الغاء المراسيم

قرر مجلس الوزراء إلغاء إصدار المراسيم فيما كانت تستصدر له ، والاستعاضة عنها بقرارات من مجلس الوزراء .

مكتبتنا العربية

اصلاح قبة الصخرة

تقدمت إلى اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية مذكرة من سوريا عن قبة الصخرة فى بيت المقدس و حاجتها إلى الإصلاح . فقال وزير خارجية الأردن : إن هذا الموضوع سبق أن اتخذ فيه قرار وعهد إلى الأردن بجمع تبرعات للقيام بهذا الإصلاح ، وقد قامت الأردن بجمع هذه التبرعات ، وإن كان لا يعرف مقدارها بعد ، واقترح أن يترك أمر الإصلاح إلى الأردن على ضوء الإعانات التى جمعتها ، فإذا وجد أنها غير كافية فإنها تطلب من الدول العربية مساعدتها .

قناة السويس

تعزم مجلس إدارة شركة قناة السويس على حفر قناتين صغيرتين تبدأ إحداهما من السويس وتنتهى الأخرى من بور سعيد ، على أن يتم حفرهما ويبدأ العمل فيهما من شهر مايو المقبل وكانت شركة قناة السويس قد حفرت من قبل قناة أخرى صغيرة منذ خمس سنوات وهى واقعة عند المنطقة الوسطى للقناة الرئيسية ، وستساعد هذه القنوات الصغيرة على تيسير حركة الملاحة من الشرق والغرب .

وقد بلغ عدد السفن التى اجتازت قناة السويس حتى الآن نحو ٢٥٠ ألف سفينة ، والمنتظر أن تزداد حركة الملاحة فى قناة السويس لأن البيانات التى طلبتها الشركة أخيراً من مختلف شركات الملاحة ونقل البترول دلت على أنه سيبلغ عدد السفن التى تمر يوميا بالقناة ستين باخرة على الأقل .

حسين جاهد بالتشين

هو الصحفى التركى الذى حكم عليه أخيراً - وقد بلغ الثمانين من عمره - بالسجن ٢٦ شهراً و ٢٠ يوماً لنشره مقالا أهان فيه رئيس الوزارة التركية ووزير الخارجية .

وأول ما عرف به حسين جاهد إصداره فى سنة ١٩٠٨ جريدة (طنين) التى كانت لسان الاتحاد والترقى فى كل ما كانت ترمى إليه من العصبية التركية ضد العناصر العثمانية الأخرى وفى مقدمتها العرب ، وفى تعاونها مع اليهود ولا سيما عنصر الدونمة فى سلانيك الذى كان يتظاهر بردته عن اليهودية ومنهم وزير المالية جاويد بك المحرف اسمه عن (دافيد) . كما كانت جريدة طنين لسان حال الدعوة إلى التفرنج والإلحاد تحت ستار الدعوة إلى التجدد والحضارة . ولما شنق كمال أتاتورك جميع رجال الاتحاد الترقى استطاع حسين جاهد أن ينجو من هذا المصير بإعلانه ميوله الموافقة لدعوة كمال أتاتورك من الناحية التركية والإسلامية ، ومضى

مكتبتنا العربية

متحمساً للكماليين كتحمسه السابق للاتحاد والترقى . وهكذا استطاع أن يعيش فى ظل النظام المرسوم فى أنقرة قريباً من معيشته فيما مضى فى ظل النظام الذى كان مرسوما فى سلانيك . إلا أنه اندفع أخيراً فى تيار المعارضة للحزب الحاكم الآن فى تركيا تأييداً للحزب الآخر الأشد نزوعا إلى المبادىء الكمالية فحكم عليه بالسجن بعد بلوغه الثمانين من عمره .

نزعة استعمار إيرانى

نحو جزيرة البحرين

جزيرة البحرين من أعرق الأوطان العربية فى عروبتها ، وكانت تسمى فى العصور القديمة (جزيرة أوال) على اسم صنم لبنى بكر بن وائل وإخوتهم بنى تغلب ابن وائل قبل أن تعرف تغلب الديانة النصرانية ، وبنو وائل كانوا منتشرين على ساحل الخليج العربى ، وتسمية جزيرة البحرين باسم صنمهم (أوال) يشعر بهذه العلاقة العريقة بالقدم ، وقد قال السمهرى العكلى يصف ناقته - وضرب المثل بنخيل جزيرة البحرين وباسق أشجارها - فقال :

طروح مروح فوق دوح كأنما
ينساط بجذع من (أوال) زمامها

بل إن الفينيقيين قبل أن ينزحوا عن وطنهم الأول نجد والاحساء (البحرين) ، أى قبل ستة وعشرين قرنا ، كانت جزيرة البحرين قلعة من قلاعهم البحرية بين جزيرة العرب والهند وسائر المشرق ، وكانت فيها ثغور اسم أحدها (صرد) والآخر (أرواد) والثالث (جبيل) ذكرها ابن حالة اليونانى (سترابون) فى كتابه عن الجغرافيا القديمة الذى ألفه قبل ميلاد المسيح وقال : إن فى هذه الثغور هياكل تشبه هياكل الفينيقيين ، وبعد أن نزح الفينيقيون عن بلاد المملكة العربية السعودية إلى ساحل الشام سموا بعض الثغور الشامية بأسماء بلادهم التى كانت على ساحل البحرين ، وفى القرن الماضى اكتشف الكابتن دوران ثم تيودور بنت نحو سنة ٧٧٠ ق.م. مدفن الفينيقيين فى نفس جزيرة البحرين وسط ميل (المراقيب) بين (المنامة) و(الرفاع) . فهذه الجزيرة العريقة فى عروبتها كانت إيران أيام الصفويين قبل مائتى سنة تعتدى عليها بالغزو الاستعمارى كما تعتدى على العراق نفسه ، ثم رفع الله تلك المحنة عن البحرين وغيرها . والآن تتعاهل إيران مشاكلها ومحنها وتراسل لبنان والأردن مدعية أن لها حقوقا استعمارية على البحرين وقد أحالت لبنان والأردن هذه الدعاوى إلى جامعة الدول العربية فاستنكرت الجامعة العربية هذه الدعاوى ، والناس يقولون : إن الشرق العربى لم يعد يقبل الاستعمار من الدول العريقة به فكيف يقبله من مثل إيران ومن يعش ير .